كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلمية

نونيـة المتنبى فى معركة الـروم
رؤية موضوعية ودراسة فنية

إعداد

د/ عاطف عبداللطيف السيد أحمد

أستاذ الأدب والنقد المساعد
في كلية اللغة العربية بالزقازيق

(العدد الثالث والثلاثون – الجزء الثاني ٢٠١٤م)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه و من اهتدى بهديه واستن بسنته إلى يوم الدين . . وبعد :

فإن الشعر فى العصر العباسى الثانى كان من فيض الوجدان ونبع الخاطر وثورة العاطفة وانفعال النفس والهام الفكر ، وكان للشعراء فيه روائع القول وعظيم التصور وجليل التخيل و سحر البيان ، فقد بدا لهم فيه جهد كبير ونهوض كثير وتنوع فى الألفاظ والأساليب والمعانى والأخيلة والأغراض والموضوعات ، مما يشهد لهم بالفحولة ويثبت لهم الريادة ويؤكد على ما يحويه شعرهم من صور بلاغية رائعة وملامح بيانية عالية ومعان أدبية سامية ومفاتن شعرية خلابة .

وقد وقفت فى هذا البحث عند شاعر تكاملت شاعريته وتمكنت ملكته ونضج ذوقه واتسع أفقه وسما خياله وحسن بيانه وعذب منطقه وحسن جرسه وسمت صوره ألا وهو أبو الطيب المتنبى .

وقد أثرت أن تكون الدراسة فى قصيدة من قصائده التى قالها فى معركة سيف الدولة الحمدانى مع الروم لسببين : الأول هو أنها لم تنل حظها فى كثير من الكتب بالتفصيل والتحليل ، والثانى لأنها تمثل أزهى فترات الشعر الصادق لدى الشاعر ، تلك الفترة التى عاش فيها مع سيف الدولة فى حروبه ومعاركه ، وقال فيها قصائد رائعة تتسم بالصياغة الرائقة والأسلوب الجيد والبلاغة العالية والتصوير الدقيق .

ومما يزيدها رقياً وازدهاراً أن سيف الدولة كان رجلاً أديباً متذوقاً للشعر ، يعرف الكلام الذى هذبت حواشيه وحذف فضوله وقوى بناؤه وتكامل رؤاه وراع بهاؤه وسحر بيانه وتسامت بلاغته ، هذا بالإضافة إلى ما كان يتمتع به بنو حمدان من اهتمام بالعلم والأدب والعلماء والشعراء ، وبهذا يتحقق قول شراح الديوان : إن خير شعره ما كان فى جوار سيف الدولة ، ومن ثم كان عنوان البحث (**نونية المتنبى فى معركة الروم رؤية موضوعية ودراسة فنية**) .

وانطلاقاً من ذلك فقد قسمت البحث إلى ثلاثة مباحث :

المبحث الأول عرضت فيه للمحة عن حياة أبى الطيب وأطوارها وشاعريته ومقوماتها .

المبحث الثانى : تحدثت فيه عن الرؤية الموضوعية لقصيدته النونية .

المبحث الثالث: تحدثت فيه عن الدراسة الفنية للقصيدة وتتمثل فى:

مطلع القصيدة ، والصياغة ، والخيال والصورة ، والموسيقى، والقصيدة بين التأثير والتأثر .

ثم أعقبت ذلك بخاتمة أوجزت فيها أهم استنتاجات البحث ، ثم ذكرت قائمة بالمصادر والمراجع التى اعتمدت عليها فى كتابة هذا البحث .

فإن كنت قد وفقت فهذا فضل من الله عظيم وإن كانت الأخرى فحسبى أنى اجتهدت ومن الله نستمد العون والتوفيق والسداد إنه على كل شئ قدير والحمد لله أولاً وآخراً .

دكتور

عاطف عبداللطيف السيد أحمد

أستاذ الأدب والنقد المساعد

في كلية اللغة العربية بالزقازيق

المبحث الأول
لمحة عن حياة المتنبى وشعره

أولاً مولده ونشأته(*)

أبو الطيب المتنبى (٣٠٣ . ٣٥٤ هـ) (٩١٥ . ٩٦٥م) هو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبدالصمد الجُعفى الكوفى الكندى ، ولد بالكوفة فى محلة تسمى (كندة) وإليها نسبته ، وقيل فى نسبه إن أباه كان يسمى عبدان لم يكن له

(*) ينظر فى ذلك : الأعلام لخير الدين الزركلى ط الثالثة جـ١ ص١١٠ .
وكتاب (وفيات الأعيان) لشمس الدين بن خلكان ط عيسى البابى الحلبى سنة ١٩٦٦ م جـ٣ ص١٢٠ .
وكتاب (المتنبى) للدكتور زكى المحاسنى ط الخامسة دار المعارف ص٢٢ .
وكتاب (تاريخ الأدب العربى فى العصر العباسى الثانى) د / إبراهيم على أبو الخشب . ملتزم الطبع والنشر دار الفكر العربى ص٤١٤ .
وكتاب (الخيال الشعرى عند أبى الطيب المتنبى) للدكتور طه مصطفى أبو كريشة ط الأولى سنة ١٣٩٨ هـ سنة ١٩٧٨م ص٧ .
. ومجلة الفيصل العدد ٦٤ شوال سنة ١٤٠٢ هـ السنة السادسة . أغسطس سنة ١٩٨٢م مقال بعنوان (الاغتراب فى شعر المتنبى) ص٢٩ : ص٣٤ .
. ومجلة كلية اللغة العربية بالزقازيق . العدد العشرون سنة ١٤٢١ هـ سنة ٢٠٠٠م مقال بعنوان (المرأة فى شعر المتنبى) ص٣٠٥ : ص٣١١ .
ـ والصبح المنبى عن حيثية المتنبى . تحقيق مصطفى السقا وآخرين ط الثالثة دار المعارف . سلسلة ذخائر العرب ص٨١ .
ـ وكتاب قضايا حول الشعر د/ عبده بدوى ط مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٢ م ص٢٠٩ .
. وينظر ظاهر التكسب وأثرها فى الشعر العربى ونقده د درويش الجندى ط مطبعة الرسالة سنة ١٩٦٩ م الناشر دار نهضة مصر للطبع والنشر بالفجالة . القاهرة ص٣١ .
وينظر : فصول فى الشعر ونقده د / شوقى ضيف ط الثانية دار المعارف ص٧٣: ص١٠٦ .

من متاع الدنيا ما يكفيه مؤونة الكد ، أو يوفر عليه عناء الطلب ، أو يريحه من جهد الاكتساب ، فاضطر إلى أن يعمل سقاء بالكوفة رجاء أن يسد عوز الأسرة ، وأن يصون وجه أهل بيته عن ذل السؤال ، وقد هجى المتنبى بذلك عندما تفتحت عبقريته الشعرية ، وأصبح يدل بها على غيره من الشعراء .

وهذه الحرفة وتلك المهنة لم تمت فى نفس الوالد وابنه الطموح ، أو تكبت فى قلبيهما الأمل ، أو تشع فى روحيهما اليأس والاستسلام ، أو تقف حجاباً حاجزاً عن الأمل فى المستقبل ، بل دفعته . حين أحس من ابنه بالنجابة وتوسم فيه الذكاء وتخيل فى عقله الصقل . إلى أن يدفع بابنه إلى بعض المعلمين ليعلمه القراءة والكتابة ، فألحقه فى كتاب كان لداته فيه من أولاد الأشراف أصحاب السمت ومظاهر النعيم ، فترك هذا أثراً ما فى نفسيته طواه بين جوانحه إلى أن يغدو شاعراً مرموقاً .

وقد كان هدف الحسين بن عبدالصمد أن يهيئ لابنه إرواء ظمئه من المعرفة وأن يحقق له أمله فى الثقافة وقد جد فى ذلك حين رأى ابنه جاداً دائباً ، لم يفتر دأبه ولم يهدأ طموحه أو يخمد توثبه أو يسكن غليان قلبه ، فأخذ المتنبى عن علماء اللغة وفحول البيان وأساطين العلم وأرباب الأدب والشعر كالأخفش والزجاج وابن دريد وأبى على الفارسى وغيرهم ، يساعده على ذلك عقل كبير وفكر سليم وذكاء مفرط ورغبة صادقة ، وهمة وثابة ، وأمل عظيم ، ورجاء واسع ، وجهد لا يعرف التوانى والفتور .

ومن صفاته أنه كان ذا نفس أبية وهمة وثابة ، وآمال واسعة ، وشمم وترفع وصلف وكبرياء ، وكان قوى الحس ، عنيف الطبع ، لم ير منه أترابه التواضع المألوف أو الدماثة التى تجرى بها معاملة الأقران أو مؤانسة الزملاء ، وكان كلما

ألح خصومه فى الغض منه ازداد عنفاً وحدة ، وكان يرى فى نفسه أنه جاء قبل أوانه ، وأنه من لبنة غير التى كان عليها أقرانه ومعاصروه ، وكان يرفع نفسه فوق نفوس البشر حتى يعجب لنفسه ويزهو بما ركب فى طبعه من المزايا .

وقد مرت حياته وسيرته وحوادثه بعدة أطوار تتمثل فى ما يلى :

الطور الأول : نشأته بالكوفة

نشأ أبو الطيب وشب بالكوفة متنقلاً بين الوراقين ، مستجيباً لوعى فى تفكيره مبكر ثائر، متتبعاً ما يقع بين يديه من كتب، وحريصاً على مجالس العلماء يتلقى عنهم اللغة والبيان وأصول الجدل وأنباء الحكام و سياسة الدولة ، ثم انطلق إلى البادية عله يجد حظاً وفيراً وخيراً كثيراً ، فلم يتحقق له فيها ما يبتغيه فعاد إلى جدته التى كانت تحبه وتفديه ، ثم ذهب فى عام ٣٢٠ هـ إلى بغداد يبتغى نصيباً من الرزق بمدح من يستحق المدح فرأى فيها ألواناً شتى من الخطوب والأحداث والنزعات بين الموالى والولاة والأمراء ، فضاقت عليه بغداد فارتحل إلى بادية الشام وجال فى مدنها و قراها حتى وصل إلى دمشق ومر بحلب وأنطاكية واللاذقية ومدح نفراً من أعيانها وظفر منهم بالهدايا والعطايا ، ثم ارتحل إلى طرابلس الشام فلقى فيها البعض ممن لا يقدر شعره حق قدره فوصل إلى اللاذقية ، ورأى فيه بعض أهلها حسن السمت و فصاحة اللسان والبراعة والاقتدار فى الشعر .

وقد سجن أبو الطيب حين مر بقبائل البادية وأعمال الشام ولقى من قومها الحفاوة والرضى حين رأوا نفاذ علمه ونبل مقصده ورجاحته، فدعا للعروبة ورد الأعاجم إلى ما كانوا عليه قبل أن يتطاولوا وينشدوا المساواة بولاة أمرهم ، وتزعم

وقتئذ حركة عربية ثورية فحبسه أمير حمص ، وفى سجنه كان عظيم النفس ، إلا أنه التمس العفو من الحاكم ، ويتبين هذا من قوله فى القصيدة الدالية [1] :

وكــن فارقــاً بــين دعــوى أردتُ ودعــوى فعلــتُ بشــأو بعيــد

وعطف قلب الحاكم على الغريب بعد أن أيقن أن الوشاة زوروا أقواله فقال [2]:

بيــدى أيهــا الأميــر الأريــب لا لشــئ إلا لأنــى غريــب
أو لأم لهــا إذا ذكرتنــى دم قلبــى فــى دمــع عيــن يــذوب
إن أكــن قبــل أن رأيتــك أخطــأ ت فإننــى علــى يديــك أثــوب
عائــب عــابنى لديــك ومنــه خلقــت فــى ذوى العيــوب العيــوب

فأفرج عنه بوساطة بعض التنوخيين الذين سعى إليهم الشاعر بالشكر بعد خروجه من السجن بعد أن قضى فيه عامين ، مؤثراً الاعتدال فى سلوكه ، وقد انعكس ذلك على شعره ، ومما يصور ذلك قوله [3] :

كيف الرجاء من الخطوب تخلصا من بعد ما أنشبن فىّ مخالبا
أوحدننى ووجدن حزناً واحدا متناهيا فجعلته لى صاحبا
ونصبننى غرض الرماة تصيبنى محن أحد من السيوف مضاربا
أظمتنى الدنيا فلما جئتها مستسقياً مطرت على مصائبا
وحبيت من خوص الركاب بأسود من دارش فغدوت أمشى راكبا

الطور الثانى : صلته بسيف الدولة

(١) العرف الطيب فى شرح ديوان أبى الطيب للعلامة الشيخ ناصيف اليازجى دار القلم بيروت لبنان ص٤٩ .

(٢) العرف الطيب فى شرح ديوان أبى الطيب ص٦٣٧ .

(٣) السابق ص١٠٦ .

بدأ هذا الطور الثانى حين خرج المتنبى من السجن راحلاً إلى أنطاكية ليمدح أميرها أبا العشائر الحمدانى وكان سيف الدولة قد زار حينئذ أبا العشائر ، فقدم أبو العشائر شاعره المتنبى إلى سيف الدولة أمير حلب ومن ثم بدأت الصلة بينهما ، فتحول يأس المتنبى إلى أمل ، وقنوطه إلى طموح ، ووجد ضآلته المنشودة فى هذا الأمير العربى، الذى أقام حياته على جهاد الروم والذى رأى فيه المتنبى الأمير المثقف الذى يحيط به العلماء والفلاسفة والكتاب والشعراء والذى كان أديباً فحلاً وشاعراً مجيداً وناقداً متذوقاً ، فتقرب الشاعر إليه ، ودعاه سيف الدولة لمديحه وضيافته فقبل المقام لديه وعاش فى كنفه يلقى منه الكرم والعطاء ونرى سعادة المتنبى بهذا التكريم والعطاء فى مثل قوله [1]:

تركت السرى خلفى لمن قل ماله وانعلت أفراسى بنعماك عسجداً
وقيدت نفسى فى ذراك محبة ومن وجد الإحسان قيداً تقيداً
إذا سأل الإنسان أيامه الغنى وكنت على بعد جعلنك موعدا

واستصحبه سيف الدولة معه فى غزواته وحروبه يسجل ما يرى ويصف ما يشاهد فقال أروع شعره فى تصوير المعارك والوقائع، ووصل لديه إلى منزلة كبيرة ومكانة عظيمة ، فزاده ذلك تيهاً على تيه، وإعجابا بنفسه أيما إعجاب ، وكلما زاد من ذلك وارتقى زاد احتقاره لغيره من الناس و بخاصة الشعراء الذين صنعوا بينه وبين الأمير جفوة وأوغروا صدره عليه ، وكان له حساده ، وفرقوا بينه وبين أميره بعد أن تألق نجمه فى كنفه تسع سنوات ، فأيقن المتنبى أن مصدر سعادته أضحى

(١) العرف الطيب فى شرح ديوان أبى الطيب ص٣٨٨ ، ص٣٨٩ .

مصدر شقائه فآثر الرحيل إلى مصر ، وقد عبر عن صيحاته الغاضبة من حسد الحساد ، ودفاعه عن شعره وعتابه لسيف الدولة وهجاء أعدائه فى قوله [1]:

أنا الذى نظر الأعمى إلى أدبى وأسمعت كلماتى من به صمم
أنام ملء جفونى عن شواردها ويسهر الخلق جراها ويختصم

ثم يقول :

يا من يعز علينا أن نفارقهم وجداننا كل شئ بعدكم عدم
ما كان أخلقنا منكم بتكرمة لو أن أمركم من أمرنا أمم

ثم يقول :

إن كان سركم ما قال حاسدنا فما لجرح إذا أرضاكم ألم

ثم يقول :

ما أبعد العيب والنقصان عن شرفى أنا الثريا وذان الشيب والهرم
بأى لفظ تقول الشعر زعنفة تجوز عندك لا عرب ولا عجم
هذا عتابك إلا أنه مقة قد ضمن الدر إلا أنه كلم

ومن دلائل مكانة المتنبى لدى سيف الدولة ما قاله صاحب كتاب (المفاوضة) أبو الحسن محمد بن على بن نصر المالكى قال : كان سيف الدولة يميل إلى أبى العباس النامى (وهو أبو العباس أحمد بن محمد الدارمى) الشاعر ميلاً شديداً إلى أن جاءه المتنبى فمال عنه إليه فغاظ ذلك أبو العباس ، فلما كان ذلك يوم خلا به وعاتبه وقال : أيها الأمير لم تفضل على ابن عبدان السقا ؟

(١) العرف الطيب فى شرح ديوان أبى الطيب ص٣٤٣ ، ص٣٤٤ .

فأمسك سيف الدولة عن جوابه، فلج وألح وطالبه بالجواب ، فقال : لأنك لا تحسن أن تقول قوله:

يعود من كل فتح غير مفتخر وقد أغذ إليه غير محتفل

فنهض من بين يديه مغضباً ، واعتقد ألا يمدحه ، وأبو العباس النامى هو القائل " كان قد بقى فى الشعر زاوية دخلها المتنبى ، وكنت أشتهى أن أكون سبقته إلى معنيين قالهما ما سبق إليهما ، أما أحدهما فقوله :

رمانى الدهر بالأرزاء حتى فؤادى فى غشاء من ينال
فصرت إذا أصابتنى سهام تكسرت النصال على النصال

والآخر قوله :

فى جحفل ستر العيون غباره فكأنما يبصرن بالآذان "

الطور الثالث : ذهابه إلى مصر

انتهى المطاف بأبى الطيب إلى مصر عند واليها كافور الأخشيدى فاحتفى به كافور وعنى بأمره وطالبه بمدحه فاستجاب أبو الطيب على حذر وسخرية طامعاً منه فى إكرامه وفى ولاية خاصة به ، فحمل نفسه على أن يقول مالا يرضيه ، فمدحه بقصائد ليس فيها صدق العاطفة وحرارة الشعور ، فقال فيه وقد سماه أبا المسك :

وبحر أبو المسك الخضم الذى له على كل بحر له زخرة وعباب
تجاوز قدر المدح حتى كأنه بأحسن ما يثنى عليه يعاب

وقد لقى حفاوة من كافور أول الأمر ، فكان يزهو بنفسه وينال من الشعراء ممن يحضرون مجلس كافور ، فكرهوه وغضبوا عليه ، وراحوا يظهرون ما فى

شعره من تهكم وسخرية ليدسوا له عند الحاكم والوزير ، وكان كافور أديباً سياسياً ، فلم تخف علية خافية مما جاء بشعر المتنبى لكنه احتمله على مضض عله يكتسب مودته ويظفر بمدحه .

ولما كثر حساد أبى الطيب وأعداؤه والمتبرمون به كف عن المديح ورغب فى الرحيل عن مصر ، لكن كافوراً حال بينه وبين ما يريد وفرض عليه حصاراً أشبه بالسجن فضاق بذلك ذرعاً ، وعاد إلى شعره يبثه شكواه ، فيقول [1]:

أقمت بأرض مصر فلا ورائى تخب بى الركاب ولا أمامى
وملنى الفراش و كان جنبى يمل لقاءه فى كل عام

قليل عائدى ، سقم فؤادى كثير حاسدى صعب مرامى
عليل الجسم ممتنع القيام شديد السكر من غير المدام
و ذائرتى كأن بها حياءً فليس تزور إلا فى الظلام

وظل أبو الطيب ينتظر الوقت الذى يفر فيه من أسر كافور وحصاره ، حتى وجد الفرصة سانحة مواتية للهروب ، وذلك فى موسم العيد الذى كان يستقبله الحاكم بالفرحة ويوزع فيه الهدايا على كبار جنده وحاشيته ، فسرى ليلاً وطوى الفلاة وفر بماله ورجاله وإبله وخيله إلى الشرق بعد أن ظل بمصر أربع سنوات وبضعة أشهر، وقبل أن يغادر مصر قال قصيدته المشهورة التى بدأها بقوله [2] :

عيد بأية حال عدت يا عيد بما مضى أم لأمر فيك تجديد
أما الأحبة فالبيداء دونهم فليت دونك بيداً دونها بيد

(١) العرف الطيب فى شرح ديوان أبى الطيب ص ٥٢٢ .
(٢) العرف الطيب فى شرح ديوان أبى الطيب ص ٥٤٨ .

لولا العلى لم تجب بى ما أجوب بها وجنـــاء حـــرف ولاجـــرداء قيـــدود

الطور الرابع : خروجه من مصر إلى الكوفة سنة ٣٥٠ هـ

خرج أبو الطيب المتنبى من مصر وقد تملك اليأس من قلبه ، حيث لم ينعم بالراحة والطمأنينة فى مقامه فى مصر وحيث لم يجد من كافور تحقيق رجائه وأمله فى أن يوليه صيداء من بلاد الشام ، فدب اليأس فى صدره وقلبه وسئم المقام لديه ، وكان صديقه (فاتك أبو شجاع) يعزيه ويسليه ، فلما أدركه الموت ارتد إلى الكوفة موطنه ، عاد إليها بعد ستة عشر عاماً مثقلاً بالذكريات ، تتنازعه مرة إلى مصر حيث يقيم كافور الذى خيب أمله ، وفاتك أبو شجاع الذى أحبه وبره ، ويتذكر صديقه سيف الدولة الذى لم يصبر على فراق شاعره ، والذى أرسل إليه ابنه من حلب يدعوه ويستعجله العودة إليه ، لكن أبا الطيب قبل هدايا سيف الدولة ولم يقبل العودة إليه ، لأن شبح الأعداء والحساد الذين كادوا له يلوح فى فكره وبين عينيه ، وقال وقتئذ قصيدة منها قوله[1] :

مـــا لنـــا كلنـــا جـــو يـــا رســـول أنـــا أهـــوى وقلبـــك المتبـــول

كلمـــا عـــاد مـــن بعثـــت إليـــه غـــار منـــى وخـــان فيمـــا يقـــول

أفســـدت بيننـــا الأمانـــات عينـــا هـــا وخانـــت قلـــوبهن العقـــول

ثم يقول :

من عبيدى إن عشت لى ألف كافو ر ولـــى مـــن نـــداك ريـــف ونيـــل

مـــا أبـــالى إذا أتقتـــك الليـــالى مـــن دهتـــه حبولهـــا والخبـــول

(١) العرف الطيب فى شرح ديوان أبى الطيب ص٤٥٦ .

ويخرج أبو الطيب من الكوفة إلى بغداد ليستطلع عن قرب حياة الناس وأمور الحكم فيها ، فأقام فيها متعاظماً ومعرضا بالوزير المهلبى الذى كاد له وزين لحساده من اللغويين والشعراء أن يكيدوا له فى مطارحاته ومجالسه ، فتألبوا عليه بالهجاء ، فتأبى عليهم وعلى خليفهم العباسى ورجال قصره دون تهيب أو تحرج ، وظل كذلك حتى عاد إلى الكوفة ولم يعد إلى بغداد إلا بعد أن مات الوزير المهلبى ، وقد ازدادت نقمته على الأوضاع السياسية والأعاجم ، وتذكر صورة سيف الدولة وما رآه من بطولته وكرامته فأرسل إليه قصيدته كأنه يستنجزه وعداً فقال فى بعض أبياتها [1] :

أنت طول الحياة للروم غاز فمتى الوعد أن يكون القفول
وسوى الروم خلف ظهرك روم فعلى أى جانبيك تميل
قعد الناس كلهم عن مساعيك وقامت بها القنا والنصول
ما الذى عنده تدار المنايا كالذى عنده تدار الشمول

الطور الخامس : من بغداد إلى بلاد فارس

أراد أبو الطيب أن يخرج من بغداد إلى بلاد فارس ، فعلم بخبره أبو الفضل بن العميد وزير عضد الدولة الحسن بن بويه الديلمى ، فدعاه لزيارته بأرجان وهو فى طريقه إلى فارس ، وكان هذا الوزير أديباً وناقداً وذواقاً للشعر ، فطمع فى لقاء أبى الطيب ومودته ، وخرج لملاقاته فى عام ٣٥٤هـ ، ولما رأى الشاعر ذلك فاضت قريحته بمدح أبى الفضل مشيداً بمنزلته فى العلم والأدب فقال[2] :

باد هواك صبرت أم لم تصبر ويكاك إن لم يجر دمعك أو جرى

(١) العرف الطيب فى شرح ديوان أبى الطيب ص٤٦٠ .
(٢) السابق ص٥٦٤ ، ص٥٦٥ .

كم غر صبرك وابتسامك صاحباً لما رآه فى الحشا مالا يرى

ولما همّ أبو الطيب أن يعود إلى العراق جاءته دعوة من عضد الدولة ليتوجه إليه ، فتردد فى قبولها لكن ابن العميد أغراه بقبولها وزين له أنه سيصله بأضعاف ما وصله هو به ، فقبل المتنبى المقام لديه ، وظل فى كنفه ثلاثة أشهر .

وقد نشط شيطان شعر المتنبى آنذاك ، فمدح عضد الدولة مدحاً نال به مالاً وفيراً ، وطرق حينئذ أكثر فنون الشعر من المدح والوصف والرثاء ووصف الطبيعة وغير ذلك ، لكن أبا الطيب رغم ما لقيه من حفاوة وتكريم آثر العودة إلى العراق لأنه أحس بالغربة فى البيئة الفارسية الأعجمية ، مؤثراً البيئة العربية الخالصة ، وقد عبر عن هذه الغربة النفسية فى إحدى قصائده فقال فى مطلعها [1] :

مغانى الشعب طيباً فى المغانى بمنزلة الربيع من الزمان
ولكن الفتى العربى فيها غريب الوجه واليد واللسان
ملاعب جنة لو سار فيها سليمان لسار بترجمان

الطور السادس : عودته إلى مسقط رأسه فى العراق وقتله

خرج أبو الطيب من عند عضد الدولة مكرماً بأحسن توديع ومحملاً بهباته وعطاياه ، وقد سجل وداعه لعضد الدولة فى قصيدة عبر فيها عن خواطر النفسية فقال فيها [2] :

إذا التوديع أعرض قال قلبى عليك الصمت لا صاحبت فاكا
ولولا أن أكثر ما تمنى معاودة لقلت ولا مناكا

(١) العرف الطيب فى شرح ديوان أبى الطيب ص٥٨٩ ، ص٥٩٠ .
(٢) السابق ص٦٣١

إذا استشـــفيت مـــن داء بـــداء فأقتـــل مـــا أعلـــك مـــا شـــفاكا
فأســـتر منـــك نجوانـــا وأخفـــى همومـــاً قـــد أطلـــت لهـــا العراكـــا

وسار يطوى الأرض طياً ، إلى أن فاجأه كمين بالطريق ، أعده له قريب لرجل هجاه المتنبى بهجاء فاحش وهو فى الكوفة ، ودار بينهما قتال ، كانت الدائرة فيه على أبى الطيب ومن معه ، فلقى مصرعه مع ابنه مُحسَّد وبعض غلمانه ، واقتسم الأعراب ماله ، وكان ذلك فى الثامن والعشرين من شهر رمضان سنة ٣٥٤هـ .

ثانياً : شاعرية المتنبى

كانت للمتنبى شاعريته الضخمة وألمعيته اللماحة وخياله الخصب وبلاغته العالية وفصاحته النادرة وأكبر دليل على شاعريته واتساع أفقه وقوة بيانه وفصاحة لسانه وعذوبة منطقه وسمو أدبه وضخامة جرسه ودوى صوت وجلجلة حديثه أن الشعراء المعاصرين له كانوا ينفسون عليه مكانته وقربه من الملوك واهتمامهم به وإجزال العطاء له .

وثمة مقومات أثرت على شاعريته وغذتها تتمثل فى : موهبته الشعرية التى تربع بها على عرش الشعر والتى زكاها اعتداده بنفسه وطموحه الواسع الذى ليس له حدود ، ثم نزعة البطولة التى كانت تسيطر عليه ، فيتغنى بها ويتمناها فى نفسه ، وتملؤه إعجاباً عندما يراها مجسمة فى غيره مثلما رآها فى سيف الدولة تلك الشخصية التى سحر بها وأبدى إعجابه بها فى قصائد كثيرة .

ومن المقومات التى أثرت على شاعريته وغذتها كذلك كثرة تشاؤمه وعدم ثقته بالناس لنشأته المتواضعة وإحساسه بضعة نسبه ورغبته فى تعويض ذلك فى مجده الذاتى المتمثل فى الشعر ، وقد نتج عن تشاؤمه أن أصبح حاد الطبع ضيق الصدر جاف العاطفة قليل الاستقرار النفسى.

وهناك مقوم آخر غذى شاعريته وهو تعصبه المطلق لكل ما هو عربى ، وقد بدا هذا الشعور لديه فى مواقف منها ما كان من إحاطته بسيف الدولة الحاكم العربى وحبه له والتغنى ببطولته ، ومنها عدم توافقه مع كافور الأخشيدى لأعجميته ، وإحساسه بالغربة فى بلاد فارس ، ورغبته الشديدة فى العودة إلى مسقط رأسه فى العراق ، هذا بالإضافة إلى ثقافته الواسعة التى غذت موهبته الشعرية وجعلته يبدع فى أغراض الشعر المختلفة ، ويجئ بالدرر ، ويجود بالنفائس ، ويرقى بأسلوبه ويهذبه ، ويختار لفظه ويجوده ، ويتيه بخياله ويحلق به .

ويوجز الدكتور / إبراهيم على أبو الخشب مزايا شعر المتنبى فيما يلى [1] :

١. ابتكار المعانى واختراع الصور وابتداع الأخيلة مثل قوله فى سيف الدولة يقع إيقاعه بالخصوم وانتصاره عليهم فى الحرب[2] :

صدمتهم بخميس أنت غرته وسمهريته فى وجهه غمم
فكان أثبت ما فى جسومهم يسقطن حولك والأرواح تنهزم

فشبه المتنبى الجيش بفرس ، وشبه سيف الدولة بغرته ، والرماح بشعر ناصيته ، وإنما شبهه بالغرة لتقدمه على الجيش أو لأنه كان يزين الجيش كما تزين الفرس غُرته ، وكانت جسوم الأعداء أثبت شئ منهم، لأنها إذا سقطت عن الدواب ثبتت مكانها ، والأرواح كانت تطير ولا تستقر ، وكانت القلوب قد خلعها

(١) تاريخ الأدب العربى فى العصر العباسى الثانى د / إبراهيم على أبو الخشب ص٤٤٠ ص٤٤٣ .
(٢) شرح ديوان أبى الطيب المتنبى لأبى العلاء المعرى تحقيق ودراسة د/ عبدالمجيد دياب ط الثانية سنة ١٤١٣هـ سنة ١٩٩٢م دار المعارف جـ٣ ص٥٥٦ .

الفزع وبددها الهلع ، وهذا الوصف وذاك التصوير إنما هو تجديد فى حديث الشاعر عن الشجاعة والوصف بالبأس والحديث عن الانتصارات واكتساب الجولة الأولى فى الحروب .

٢ ـ عدم تحقق الصنعة أو ملامح التكلف فى شعره ، فلم يذكر من المحسنات البديعية إلا ما يتطلبه البيت أو تحتاجه القصيدة .

٣ ـ أضفى على حكمته ثوب الشعر ، فبدت وعليها طابعه ولها حسنه وفيها رواؤه ، فلا يدرى القارئ حينئذ أهى شعر محكم أم حكمة زانها ثوب من الشعر .

٤ ـ خلو شعره من المجون أو الحديث عن الخنا واللهو والإسفاف فى الخلق إلا ما بدر منه فى شعر الهجاء ، أما معظم شعره فيتسم أسلوبه بالأدب الجم والأخلاق النبيلة والسجايا المحببة والخلال الطيبة والصور الكريمة ، والألفاظ العفيفة والمعانى المهذبة .

٥ ـ اتفاق كثير من الأدباء والنقاد على أنه اختص فى شعره بأمور : منها البراعة فى وصف الجيش والحديث عنه وتصويره الدقيق لحركاته وانتصاراته ، ومنها حسن المطلع والتخلص ، ومنها إجادة التشبيه وحسن التقسيم ، ومنها افتضاض أبكار المعانى فى المراثى ، وإرسال الحكمة فى البيت أو فى نصفه ، ومنها أن قصائده تبتدى قوية وتنتهى قوية ، وما بين البداية والنهاية ترى روعة تنهال عليك وبلاغة تنسال وفصاحة تهجم وحسنا يتكشف وجمالاً يزدحم وروعة تتعانق ، وترى أنك تسير فى بستان فيه زهر وورد ، وأكمام وثمر ، وأريج وعطر وخضرة وماء .

وهكذا كانت حياة هذا الشاعر الذى كان حدثاً من أحداث التاريخ الذى تفتحت الأعين عليه ، واشتغلت به القلوب و الأفهام ، وصار شعره حديقة غناء يجلس فى

رحابها طلاب العلم والثقافة والمعرفة وأرباب البلاغة والبيان والأدب ليقطفوا من ثمارها ، وليلتقطوا من جناها ما يعود عليهم من فصاحة فى الأسلوب وضخامة المعانى ، وجزالة فى الألفاظ وجرس فى الموسيقى ، وتجديد فى التصوير وافتنان فى التعبير ، فعكفوا على شعره ، وشرحوا ألفاظه ، وأبرزوا جماله وبينوا أسرار وأظهروا حسنه وجماله ، فكان لهم من ورائه رصيد علمى نافع وتراث أدبى رائع .

المبحث الثانى

الرؤية الموضوعية فى نونية المتنبى

قبل أن نتحدث عن الرؤيـة الموضـوعية فـى نونيـة المتنبـى نشـير بإيجـاز إلـى المناسبة التى من أجلها قال الشاعر قصيدته .

قـال المتنبـى قصـيدته عنـد منصـرف سـيف الدولـة مـن بلـد الـروم سـنة خمـس وأربعين وثلاثمائة من الهجرة بآمد ، وكان قد نمى إلى سيف الدولة أن الروم تقدموا لغزو آمد ، فخف لملاقاتهم ، ونهض لردهم على أعقابهم، فلما علموا بمقدمه لم يواصلوا تقدمهم ، بل جبنوا ولاذوا بالفرار عائدين إلى بلادهم ، ولم يقنع البطل المغوار بطرده لهم وصده لفلولهم ، بل اندفع خلفهم واقتحم حدودهم واكتسح جموعهم وألحق بهم هزيمة فادحة فى عقر دارهم ، فلما أقفل عائداً إذا هم يأخذون الدروب عليه ، وقد ضيقوا عليه ، وحاولوا الإيقاع به ، واضعين له موقفاً خطراً لم يكن له خلاص منه إلا بحسن تدبيره وبلائه . . .

ومن ثم كانت الصدحة من الشاعر يكشف عن خصيصة أخرى يتحلى بها سيف الدولة ـ مع شجاعته وفروسيته ـ فهو أهل الرأى وأهل الشجاعة ، وبهما بلغ من العلياء كل مكان ، ولا ينسى الشاعر أن سيف الدولة جعل كل ذلك فى خدمة الدين وحماية ديار الإسلام من سطوات الروم ، فهو ما يزال يكافحهم مدافعاً عن دينه الإسلام ، بل ورافعاً راية الإسلام فوق كل الأديان .

ولقد ضيق الروم على سيف الدولـة المسالك ، وأخذوا عليـه الدروب، ثم خرج سيف الدولة بحكمته وسداد رأيـه ، وشجاعته من هذا كلـه منتصراً ، موفور الكرامـة [1].

ويحس المتنبى بهذا الزحف إلى الروم ودك حصونهم وقلاعهم كأن سيف الدولة بعث الطولـة العربيـة من كوامنها وأثارها من رواقدها بما قدم لها من قيود قوامـه رؤوس الأعداء وأشلاؤهم الممزقة فيتغنى المتنبى بذلك فى نونيتـه منوهاً ببلائـه فى الحرب ، وما استشعره العرب إزاء بطولته من شرف وفخار ، ويبدع فى وصف تلك المعركة وصفاً رائعاً مصوراً كيف دق العرب أعناق الروم وسحقوا ضلوعهم وسفكوا دماءهم ، ومعبراً عن الفرحة التى غمرت قلوبهم نشوة وطربا [2].

ويشيد الدكتور زكى المحاسنى بجودة المتنبى وبراعته فى شعر الحرب ووصف المعارك فيقول إنه " قد بلـغ بـه شـأواً يناصى بـه هوميروس فى ملحمـة الإلياذة ، ولو جمع شعره فى وصف الحرب والمعارك فى تتابع واحد وأعطى العرض والتحليل لكان فى ذلك بعض الوفاء لشاعر أعطى العربية روحه ودمه " [3].

ويشير فى موضع آخر إلى أن " من أعظم قصائد أبى الطيب سيفياته التى قالها فى مدح سيف الدولة بن حمدان صاحب حلب " [4] .

(١) معالم العروبة فى شعر المتنبى . رؤية موضوعية ودراسة فنية د/ عبدالباسط سعيد عطايا . ط مطابع الولاء الحديثة بشبين الكوم ص٤٩ ، ص٥٠ .

(٢) فصول فى الشعر ونقده د/ شوقى ضيف ط الثانية دار المعارف ص٩٥ .

(٣) المتنبى د / زكى المحاسنى ط الخامسة دار المعارف ص٤٤ .

(٤) المتنبى د / زكى المحاسنى ط الخامسة دار المعارف ص٥٣ .

أما عن الرؤية الموضوعية فى نونية الشاعر فإن نونيته فى مدح سيف الدولة وإن كانت فى ظاهرها أنها اقتصرت على المدح إلا أنها اشتملت على بعض الأفكار والموضوعات ، وتتمثل فى الأتى :

الفكرة الأولى : موازنة بين الشجاعة والعقل

بدأ الشاعر هذه الفكرة ببعض الحكم والتى أقام فيها موازنة بين الشجاعة والرأى (العقل) ، والتى تتمثل فى تفضيله الرأى على الشجاعة ، وبهما يبلغ الإنسان العلى .

يقول الشاعر فى أبيات هذه الفكرة إن الرأى والعقل أفضل من الشجاعة ، وهو مقدم عليها ، وإنها إذا لم تصدر عن الرأى والعقل أتت على صاحبها فأهلكته وأسرعت به إلى الشر ، لذا فهى فى المرتبة الثانية بعد العقل ، وإذا اجتمع الرأى والشجاعة لنفس واحدة أبية كريمة بلغت كل مكان من المعالى ، ويشير الشاعر كذلك إلى أن الرأى ربما يغنى عن الشجاعة ويوصل صاحبه إلى الإيقاع بالأعداء والنكاية بهم قبل أن يقع حرب أو قتال .

ولولا العقل لكان أقل سبع إلى الشرف من الإنسان لما للأسد من فضل البأس والإقدام ولولا العقل لما تفاضلت النفوس بعضها على بعض ، ولولاه ما عرفت الأيدى كيف تصنع بالرماح ، وقد بدت تلك المعانى فى الأبيات من الأول إلى الخامس ، وفيها يقول المتنبى [1] :

(١) شرح ديوان أبى الطيب المتنبى لأبى العلاء المعرى تحقيق ودراسة د/ عبدالمجيد دياب ط الثانية سنة ١٤١٣هـ سنة ١٩٩٢م دار المعارف جـ٣ ص٥٢٨، ص٥٢٩ .

الــرأى قبــل شــجاعة الشــجعان هــو أول وهــى المحــل الثــانى[1]
فــإذا همــا اجتمعــا لــنفس مــرة بلغــت مــن العليــاء كــل مكــان[2]
ولربمــا طعــن الفتــى أقــرانه بــالرأى قبــل تطــاعن الأقــران [3]
لــولا العقــول لكــان أدنــى ضــيغم أدنــى إلــى شــرف مــن الإنســان[4]
ولمــا تفاضــلت النفــوس وأدبــرت أيــدى الكمــاة عــوالى المــران[5]

الفكرة الثانية : مدح سيف الدولة

يتحدث الشاعر فى هذه الفكرة عن مدحه لسيف الدولة فيشير إلى أنه لولا سيف الدولة ومضاؤه لم يكن للسيوف مضاء حين تسل من أغمادها ، بل كانت كالأجفان فى قلة الغناء ، وأن سيف الدولة خاض الموت بسيوفه حتى ما علم أذلك الخوض من احتقار للموت أم نسيان له وغفلة عنه ، وأنه لما سعى فى طلب

وينظر : شرح ديوان أبى الطيب المتنبى لأبى البقاء العكبرى المسمى بالتبيان فى شرح الديوان ، ضبطه وصححه ووضع فهارسه مصطفى السقا وإبراهيم الإبيارى وعبدالحفيظ شلبى . ط سنة ١٣٩١ هـ سنة١٩٧١ م ملتزم الطبع والنشر شركة مكتبة مصطفى البابى الحلبى بمصر جـ٣ ص١٧٤ .

وينظر : شرح ديوان أبى الطيب المتنبى شرحه وكتب حواشيه مصطفى سبيتى . دار الكتب العلمية . بيروت لبنان جـ٢ ص١٧١ .

(١) الشجعان : جمع شجاع وهو الشديد القلب عند البأس .

(٢) النفس المرة : هى القوية الشديدة الأبية التى لا تقبل الضيم ومنه قوله تعالى " ذو مرة فاستوى " ويُروى (لنفس حرة) .

(٣) أقرانه : القرن هو الند والشبيه والمثيل والمساوى والمعادل .

(٤) أدنى ضيغم : الدون من السباع . والضيغم : الأسد ، وأدنى إلى شرف : أى أقرب .

(٥) المران : القنا والواحدة : مرانة ويقصد بها الرماح اللينة وأصله من مرن مروناً : إذا لان . والعوالى : جمع عالية ، وهى على قدر ذراعين من أعلى الرمح ويقصد بها صدور الرماح . والكماة : جمع كمىّ وهو المستتر فى السلاح . وتفاضلت : فضل بعضها بعضاً.

العلياء وهو ما يكسبه من المعالى قصر عن بلوغه فى بعد ما طلب أهل زمانه وأهل كل زمان ، وتقصير هؤلاء إنما جاء من اتخاذهم بيوتهم مجالس وهو يجعل مجالسه سروج الخيل ، فلهذا قصروا عن اللحاق به ، وقد حسب هؤلاء لعبهم بالرماح فى الميدان أنه مثل الطعن فى الحرب عند ملاقاة الأقران ، وليس الأمر كما قدروا ، وأما الشاعر فقد قاد خيله إلى الطعان ولم يكن قوده لها أول مرة ، بل قد سبق له أمثالها ، وتعودت خيله التردد إلى الروم ومعارك الحرب ، فكأنه يقودها إلى أوطانها التى تعودت الإقامة بها ، وقد عبر عن هذه المعانى فى أبياته من السادس إلى الحادى عشر فيقول [1] :.

لولا سمى سيوفه ومضاؤه لما سللن لكن كالأجفان[2]

خاض الحمام بهن حتى ما درى أمن احتقار ذاك أم نسيان[3]

وجرى فقصر عن مداه فى العلى أهل الزمان وأهل كل زمان[4]

تخذوا المجالس فى البيوت وعنده أن السروج مجالس الفتيان[5]

وتوهموا اللعب الوغى والطعن فى الـ ـهيجاء غير الطعن فى الميدان[6]

(١) شرح ديوان أبى الطيب المتنبى لأبى العلاء المعرى جـ٣ ص٥٢٩ ، ص٥٣٠، وشرح ديوان أبى الطيب المتنبى للعكبرى جـ٣ ص١٧٥ ، ص١٧٦، وشرح ديوان أبى الطيب المتنبى لمصطفى سبيتى جـ٢ ص١٧١ .

(٢) الأجفان : جمع جفن وهو غمد السيف، وهو اسم مشترك بين السيف والعين .

(٣) الحمام : الموت ، والخوض : الاقتحام فى الشئ ، والاحتقار : الامتهان .

(٤) لمدى : البعد . وأهل الزمان : أهل زمانه ، وجرى إلى المعالى فعجز أهل زمانه وأهل كل زمان عن بلوغ شأوه .

(٥) تخذوا : بمعنى اتخذوا ، تقول : تخذت الشئ واتخذته . وعنده : بمعنى فى اعتقاده .

(٦) الوغى والهيجاء : من أسماء الحرب.

قاد الجياد إلى الطعان ولم يقد إلا إلى العادات والأوطان[1]

الفكرة الثالثة : وصف خيله

بعد أن وصف الشاعر خيله فى بيته السابق بأنها تعودت التردد إلى الروم والحروب ، قال إن هذه الخيل وتلك الجياد وكل ابن فرس سابقة حسن الخلْق إذا نظر صاحبه إليه أغار على ما فى قلبه من الحزن بحسنه وأزاله عن قلبه وهى إن أُرسلت فرابطها آداب الوغى ، أى إنها مؤدبة بآداب الحرب ، فإذا أرسلت لم تشرد ، فتحتاج إلى أن تشد برسن أو شكال ، ولكنها متى دعاها صاحبها أقبلت إليه ، فيغنى دعاؤها عن أرسان تقاد بها .

وقد عبر عن هذه المعانى فى بيتيه الثانى عشر والثالث عشر ، فيقول[2] :.

كل ابن سابقة يغير بحسنه فى قلب صاحبه على الأحزان[3]

إن خليت ربطت بآداب الوغى فدعاؤها يغنى عن الأرسان[4]

(١) الجياد : جمع جواد على غير قياس . الأوطان : جمع وطن ، وهو ما يستوطنه الإنسان .

(٢) شرح الديوان للمعرى جـ٣ ص٥٣١ ، وشرح الديوان للعكبرى جـ٣ ص١٧٦ ، وشرح الديوان سبيتى جـ٢ ص١٧٢ .

(٣) ابن سابقة : فرس ولدته سابقة من كرام الخيل .

(٤) الوغى : الحرب ، وأصله شدة أصوات أهل الحرب . الأرسان : جمع رسن وهو ما يكون فى رأس الدابة تمنع به من التصرف .

الفكرة الرابعة : وصف المعركة

يصف الشاعر فى هذه الفكرة سيف الدولة وقد قاد جياده فى جيش عظيم قد ثار غباره حتى ستر العيون ، وأطبق الجفون من تكاثفه ، فكأن هذه الخيل تبصرن بالآذان ، لأن الغبار لا يطبق الآذان ، بل تكون أبداً منتصبة ، ويصف الممدوح بأنه رجل منصور قد عوده الله الظفر والنصر فلا يبعد عليه شئ ، فالبعيد عنده كالقريب عند غيره لعزمه على الأمور .

ولا ينسى الشاعر وهو يصف الجيش وصف الخيل ، فيقول : إن هذه الخيل لخفتها وسرعتها تكون أرجلها بمنبج فى الشام وأيديها بحصن الران من بلاد الروم ، فكأنها تريد أن تبلغ الروم بخطوة واحدة، وأنها ما زالت تسرع حتى عبرت النهر سابحة ، وكانت تنشر عمائم الفرسان فوقهن لسرعتهن فى السباحة ، وكان هذا النهر لبرودة مائه يعمل فى البدن ما تعمل السكاكين ، حتى تقلصت الخصى وبردت فصارت الفحول حينئذ كالخصيان ،وكان هناك غباران كثيفان على جانبى النهر ، أثارتها فرق الجيش التى اجتازته والتى لم تجتزه ، فهما يفترقان بمجرى النهر ويجتمعان بالفرسان الذين يجتازونه بينهما ، وقد صاغ هذه المعانى فى أبياته من الرابع عشر إلى التاسع عشر ، فيقول[1] :.

فى جحفل ستر العيون غباره فكأنما يبصرن بالآذان [2]

يرمى بها البلد البعيد مظفر كل البعيد له قريب دان [3]

(١) شرح ديوان أبى الطيب المتنبى لأبى العلاء المعرى جـ٣ ص٥٣١ : ص٥٣٣، وشرح ديوان أبى الطيب المتنبى للعكبرى جـ٣ص١٧٦ ، ص١٧٧، وشرح ديوان أبى الطيب المتنبى لمصطفى سبيتى جـ٢ ص١٧٢ ، ص١٧٣ .

(٢) الجحفل : الجيش العظيم ، مأخوذ من تجحفل القوم أى اجتمعوا ، ورجل جحفل أى عظيم القدر .

(٣) مظفر : سيف الدولة .

فكـــأن أرجلهـــا بتربـــة منـــبج يطـــرحن أيـــديها بحصـــن الـــران[1]
حتـــى عبـــرن بأرســـناس ســـوابحا ينشـــرن فيـــه عمـــائم الفرســـان [2]
يقمصن فى مثل المدى من بارد يـــذر الفحـــول وهـــن كالخصـــيان[3]
والمـــاء بـــين عجـــاجتيـــن مخلـــص تتفرقـــــان بـــــه وتلتقيـــــان [4]

الفكرة الخامسة : بطولة سيف الدولة وجنوده

يصور الشاعر فى هذه الفكرة عبور سيف الدولة النهر ، الذى كان ماؤه فى الصفاء كالفضة البيضاء ، وثنى عنانه راجعاً ، وقد صار كالذهب لما سال عليه من دماء القتلى ، واحمر بما خالطه من دماء الروم ، وفتل من شعور من قتل من الروم الحبال الكثيرة ، وبنى مما كسّر من الصلبان سفناً يعبر بالسبى والأموال عليها ، وملأ هذا النهر سفنا تعدو بلا قوائم ، بطونها عقم لا تلد ، وهى سود الألوان لأنها مغبرة ، حمل فيها ما سبته الخيول من النساء والولدان .

ويشير إلى أن هذا النهر يحفظ أهله من حوادث الدهر ونوازله ، ولم يقدر أحد على عبوره إلا سيف الدولة وقومه بنو حمدان ، هؤلاء الذين أجبرت سيوفهم الدروع على نقض عهدها مع الملوك فاخترقت أجسادهم وقتلتهم .

ويصف الشاعر كذلك جنود سيف الدولة بأنهم كالصعاليك ، يتخلقون بأخلاقهم ويتطامنون مع ملكهم العظيم ، ويتواضعون مع علو قدرهم وعظم شأنهم ،

(١) منبج : بلدة بالشام من أعمال حلب . حصن الران : من بلاد الروم وبينهما مسيرة خمس ليال .
(٢) أرسناس : نهر عظيم فى بلاد الروم بارد الماء جداً يسيل من ذوب الثلج .
(٣) يقمصن : يثبن . المدى : جمع مدية وهى السكين . والخصيان : جمع خُصى من الخيل
(٤) عجاجتان : العجاجة : الغبرة ، وقيل أراد بالعجاجتين : ما يثور على جانبى الفرس السابح فإذا شق الماء افترق جانباه ثم تلاقيا من بعد .

ويستظلون فى الهواجر بظلال خيولهم ، ولا يدخلون الخيام كما يفعله المتنعمون من أمثالهم ، تبدو خيولهم قوية إذا طاردت النعام والذئاب أدركتها لخفتها وسرعتها، وقد بدت تلك المعانى فى أبيات الشاعر من العشرين إلى الثامن والعشرين ، فيقول [1]:

ركض الأمير وكاللجين حبابه وثنى الأعنة وهو كالعقبان[2]

فتل الحبال من الغدائر فوقه وبنى السفين له من الصلبان [3]

وحشاه عادية بغير قوائم عقم البطون حوالك الألوان [4]

تأتى بما سبت الخيول كأنها تحت الحسان مرابض الغزلان [5]

بحر تعود أن يذم لأهله من دهره وطوارق الحدثان [6]

فتركته وإذا أذم من الورى راعاك واستثنى بنى حمدان[7]

المخفرين بكل أبيض صارم ذمم الدروع على ذوى التيجان[8]

(١) شرح ديوان أبى الطيب المتنبى لأبى العلاء المعرى جـ٣ ص٥٣٣: ص٥٣٥، وشرح العكبرى جـ٣ ص١٧٨ ، ص١٧٩ ، وشرح مصطفى سبيتى جـ٢ ص١٧٣ ، ص١٧٤ .

(٢) الحباب : معظم الماء . اللجين : الفضة . العقبان : الذهب .

(٣) الغدائر : جمع غديرة وهى الذؤابة من الشعر . السفين : جمع سفينة . الصلبان : جمع صليب وهو الذى تعظمه النصارى ويكون فى كنائسهم وبيعهم .

(٤) عادية : راكضة . حوالك : جمع حالك وهو شديد السواد .

(٥) المرابض : جمع مربض وهو مأوى الغنم والوحش ، فكل ما تأوى إليه من بيت أو غيره فهو مربض .

(٦) الذمام : العهد والحفظ . يذم : يجير . الحدثان والحادثة والحدث والحدثى كله بمعنى واحد وهو حوادث الدهر ونوائبه .

(٧) أذم : أجار . بنو حمدان : هم قبائل سيف الدولة .

(٨) خفرت الرجل : إذا أجرته ، وأخفرته : إذا نقضت عهده . الأبيض الصارم : السيف القاطع .

متصـــعلكين علـــى كثافـــة ملكهـــم متواضـــعين علـــى عظـــيم الشـــان[1]

يتقيلـــــون ظـــــلال كـــــل مطهـــــم أجـــل الظلـــيم وربقـــة الســـرحان[2]

الفكرة السادسة : مدح سيف الدولة

يمدح الشاعر سيف الدولة فيقول إن سيفه قهر كل سيف ، وذلت لـه السيوف وانقادت لـه قهراً ، ودينـه ذل سائر الأديان وقهرها ، ويصف ما بذلـه الممدوح من جهد جهيد فى حربه مع الروم ، بأن قهرهم فى حالة صعبة على المسلمين ، حيث لم يمكنهم المقام على الدروب والرجوع عنها ، وكان السير ممتنعاً ، فاشتد الحال حتى تعذر الانصراف والتقدم ، وكانت الطرق قد ضاقت برماح الروم ، فلا يقدر أحد أن يخلص منها لكثرة القنا واشتباكها ، وأهل الكفر قد أحاطوا بأهل الإيمان لكثرتهم وشدة أمرهم ، فأذل الممدوح الكفر ونصر الإسلام ، وقد نظر الروم وقتئذ إلى المسلمين وهم مقنعون فى الحديد ، حتى كأنهم قطع الحديد لاشتماله عليهم ، وهم فوق خيل كالعقبان .

ويقف الشاعر عند المسلمين فيقول إن الروم قد نظروا إلى فوارس المسلمين فرأوهم يعدون الموت فى الحرب حياة لبقاء الذكر ، ثم يعود إلى مدح ممدوحه فيصف بطولته وشجاعته فى الحرب بأنه ما زال يضرب الأعداء ضرباً متتابعاً فى أعالى أبدانهم ، يعمل فيه السيف الواحد عمل سيفين ، وهذا الضرب لا يقع إلا فى الوجه أو الرأس ، ولا يتعرض لسائر الجسد ، فكأن الأجسام قد أخذت منه الأمان وأتت إليه بالأمان ، وقد عبر الشاعر عن هذه المعانى فى الأبيات من التاسع

(١) الصعلوك : الفقير الذى لا مال له ، والمتصعلك : من يتكلف ذلك .

(٢) التقيل : النوم فى القائلة وهى الظهيرة . المطهم : التام الخلق وهى صفة للخيل . الظليم : ذكر النعام . الربقة : العروة . السرحان : الذئب .

والعشرين إلى الخامس والثلاثين فيقول [١] :.

خضعت لمنصلك المناصل عنوة وأذل دينك سائر الأديان [٢]

وعلى الدروب وفى الرجوع غضاضة والسير ممتنع من الإمكان [٣]

والطرق ضيقة المسالك بالقنا والكفر مجتمع على الإيمان [٤]

نظروا إلى زبر الحديد كأنما يصعدن بين مناكب العقبان [٥]

وفوارس يحيى الحمام نفوسها فكأنها ليست من الحيوان [٦]

ما زلت تضربهم دراكاً فى الذرى ضرباً كأن السيف فيه اثنان [٧]

خص الجماجم والوجوه كأنما جاءت إليك جسومهم بأمان [٨]

الفكرة السابعة : وصف ما خلفته الحرب بالروم

يصف الشاعر ما خلفته الحرب بالأعداء ، حيث رموا قسيهم وانهزموا يطؤون فى هزيمتهم قسيهم التى رموا بها سيف الدولة ثم ولوا على أدبارهم ، وكان قد

(١) شرح ديوان أبى الطيب المتنبى لأبى العلاء المعرى جـ٣ ص٥٣٦ :ص٥٣٨، وشرح ديوان أبى الطيب المتنبى للعكبرى جـ٣ ص١٨٠ : ص١٨٢ ، وشرح ديوان أبى الطيب المتنبى لمصطفى سبيتى جـ٢ ص١٧٤ .

(٢) المنصل : السيف . العنوة : القهر .

(٣) الدروب : مداخل بلاد الروم وجبالها وطرقها . الغضاضة : الذل والقهر والعيب وهو ما يغض من الإنسان .

(٤) القنا : الرماح .

(٥) الزبر : جمع زبرة وهى القطعة من الحديد والمقصود السيف . العقبان : جمع عقاب وهو من سباع الطير يقع على الذكر والأنثى .

(٦) الحمام : الموت . الحيوان : ذو الروح .

(٧) الدراك : المتابعة فى الطعن . الذرى : رؤوس القوم أو رؤوس الجبال وذرى الشئ : أعلاه .

(٨) الجماجم : جمع جمجمة وهى أعلى الرأس .

أصابهم المطر النازل من السحاب مفصلاً بالسيوف والرماح ، كما يفصل العقد بالدر والذهب ، وقد حرموا ما أملوا من الظفر بسيف الدولة ، وصار من نجا منهم ولو كان محروماً يعد نفسه وكأنه أدرك آماله لنجاته بنفسه ، وكانوا من قبل يطلبون بثأر من قتل منهم فلما وقعت الرماح فى قلوبهم اشتغلوا بأنفسهم ونسوا إخوانهم الذين يطلبون بثأرهم ، وما أبعد عليهم الرجوع وقد عاقهم عن ذلك سيوف سيف الدولة التى كثر القتل فيهم ، فكان من قتل منهم أكثر ممن أسر وعاقهم كذلك رجل مهذب صفى من كل عيب ، أمر الموت بقبض أرواحهم ، فأطاعه الموت فى طاعة الله تعالى ، لأن قتلهم طاعة وفيه رضى الله تعالى .

ثم يصف الشاعر ما آل إليه أمر الأعداء بعد القتل والأسر ، حيث سودت شعورهم الأشجار فكأنها الغربان ، وخضبت دماؤهم أوراق الأشجار فأشبهت النارنج على الأغصان ، وما كان يحدث لهم ذلك إلا لأن السيوف إنما تعمل مع الشجعان الذين قلوبهم فى المضاء كقلوب السيوف عند اجتماع الجيشين ، وأما سيوف الأعداء فكانت غير قاطعة، فكأنها جبان مثل أصحابها الحاملين لها ، ونرى هذه المعانى فى أبيات الشاعر من السادس والثلاثين إلى الخامس والأربعين ، فيقول[1] :

فرموا بما يرمون عنه وأدبروا يطئون كل حنية مرنان[2]

(١) شرح ديوان أبى الطيب المتنبى لأبى العلاء المعرى جـ٣ ص٥٣٨ :ص٥٤١، وشرح ديوان أبى الطيب المتنبى للعكبرى جـ٣ ص١٨٢ : ص١٨٤ ، وشرح ديوان أبى الطيب المتنبى لمصطفى سبيتى جـ٢ ص١٧٥، ص١٧٦ .

(٢) الحنية : القوس . المرنان : الكثير الرنة ، وما يرمون عنه : وهو القسى التى كانوا يرمون بها .

يغشاهم مطر السحاب مفصلاً بمهند ومثقف وسنان[1]
حرموا الذى أملوا وأدرك منهم آماله من عاذ بالحرمان[2]
وإذا الرماح شغلن مهجة ثائر شغلته مهجته عن الإخوان[3]
هيهات عاق عن العواد قواضب كثر القتيل بها وقل العانى[4]
ومهذب أمر المنايا فيهم فأطعنه فى طاعة الرحمن[5]
قد سودت شجر الجبال شعورهم فكأن فيه مسفة الغربان[6]
وجرى على الورق النجيع القانى فكأنه النارنج فى الأغصان[7]
إن السيوف مع الذين قلوبهم كقلوبهن إذا التقى الجمعان[8]
تلقى الحسام على جراءة حده مثل الجبان بكف كل جبان[9]

الفكرة الثامنة : مدح سيف الدولة

يتحدث الشاعر فى أبيات هذه الفكرة عن مكانة سيف الدولة ومنزلته فيقول إن

(١) المثقف : الرمح المقوم ـ والمهند : السيف ، ومراده بالسنان : الزج الذى فى أسفل الرمح .
(٢) الحرمان : حرمان الغنيمة والرجوع بالخيبة .
(٣) المهجة : الروح ـ ثائر : طالب الدم .
(٤) عاق : منع ـ العواد : المعاودة ـ القواضب : السيوف جمع قاضب وقضيب ويجمع أيضاً على قضب ـ العانى : الأسير .
(٥) المهذب : الطاهر من العيب ويريد به سيف الدولة .
(٦) المسفة : الدانية من الأرض ، وأسف الطائر : إذا دنا من الأرض فى طيرانه .
(٧) النجيع : الدم الطرى ، وقيل دم الجوف ـ القانى : الأحمر شديد الحمرة ـ النارنج : ثمر معروف وليس بعربى .
(٨) الضمير فى قلوبهن للسيوف .
(٩) الحسام : السيف القاطع ـ الجراءة : الأقدام ـ جبن السيوف : قلة المضاء .

العرب تشرفت به ، وقاتلوا الملوك ، وأوقدوا رؤوسهم نار الحرب ، وكما أن عدنان أصل نسبها فإنه أصل فخرها وشرفها ، وهو يعم الناس بفضله وجوده وعطاياه ، فيقتل الأعداء بسيفه، والأولياء بإحسانه ، والشاعر من جملة قتلى إحسانه ، فإذا رآه تحير ناظره دونه ، فلا يستطيع أن ينظر إليه ملئ عينيه لهيبته وكثرة مآثره ، وإذا أراد مدحه حار فى وصفه لسانه ، وعجز عن استيفاء مدحه عباراته وبيانه ، وقد صاغ الشاعر هذا المعانى فى الأبيات من السادس والأربعين إلى التاسع والأربعين ، فيقول [1] :.

رفعت بك العرب العماد وصيرت قمم الملوك مواقد النيران[2]

أنساب فخرهم إليك وإنما أنساب أصلهم إلى عدنان[3]

يا من يقتل من أراد بسيفه أصبحت من قتلاك بالإحسان[4]

فإذا رأيتك حار دونك ناظرى وإذا مدحتك حار فيك لسانى[5]

(١) شرح ديوان أبى الطيب المتنبى لأبى العلاء المعرى جـ٣ ص٥٤١:ص٥٤٢، وشرح ديوان أبى الطيب الطيب المتنبى للعكبرى جـ٣ ص١٨٤ : ص١٨٥ ، وشرح ديوان أبى الطيب المتنبى لمصطفى سبيتى جـ٢ ص١٧٦ .

(٢) العماد : العلو ومنه عماد البيت وهو ما يرفعه . القمم : جمع قمة وهى أعلى الرأس ، وقمة كل شئ شئ أعلاه .

(٣) عدنان : أبو العرب كلها .

(٤) الإحسان : الاستعباد .

(٥) حار : يحار حيرة وحيراً أى تحير فى أمره فهو حيران ، وحيرته أنا فتحير ، وقوم حيارى ورجل حائر : إذا لم يهتد لشئ .

المبحث الثالث

الدراسة الفنية للقصيدة

أولاً : مطلع القصيدة

أشار العلماء إلى أن المتكلم ينبغى عليه أن تزيد عنايته ويكثر اهتمامه بأربعة مواضع من كلامه ، تتمثل فى : براعة المطلع وحسن التخلص ، وحسن الطلب وحسن الختام ، وبراعة المطلع بأن تكون ألفاظه مختارة سالمة عما ينفر منه السامع أو يتعلق به نقد ، وأن يكون كلامه مشتملاً على إشارة لطيفة إلى مقصودة من الكلام وسموا ذلك براعة الاستهلال [1].

ويشير القاضى الجرجانى فى كتابه (الوساطة بين المتنبى وخصومه) إلى أن للمتنبى بعض المطالع المعيبة وهى قليلة وله ابتداءات ومطالع حسنة ، ومثل لذلك بأمثلة عديدة ، منها تلك النونية التى نحن بصددها ويعلق قائلاً : ما أكثر ابتداءاته الجيدة التى تشير إلى توفيق المتنبى فيها ، يقول المتنبى :

الـرأى قبـل شـجاعة الشـجعان هـو أول وهـى المحـل الثـانى
فـإذا همـا اجتمعـا لـنفس مـرة بلغـت مـن العليـاء كـل مكـان
ولربمـا طعـن الفتـى أقـرانه بـالرأى قبـل تطـاعن الأقـران
لـولا العقـول لكـان أدنـى ضـيغم أدنـى إلـى شـرف مـن الإنسـان
ولمـا تفاضـلت النفـوس وأدبـرت أيـدى الكمـاة عـوالى المـران

(١) الوسيلة الأدبية إلى العلوم العربية لحسين المرصفى . حققه وقدم له د / عبدالعزيز الدسوقى . الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة١٩٩١م جـ٢ ص٩٢ ، ص٩٤ .

ويأتى توفيق المتنبى فى مطلع هذه القصيدة من أنه أقام موازنة بين الشجاعة والرأى ومصدره العقل فى الأبيات الخمسة الأولى التى يُعلى فيها من شأن الرأى والعقل ، معلناً أنه أفضل من الشجاعة القاصرة التى تسرع بالإنسان إلى الشر ، والفضل كل الفضل لو اجتمع الرأى والشجاعة لنفس واحدة كريمة أبية ، فبهما تبلغ كل مكان من المعالى ، والشجاعة ليست لها فضيلة " إذا تخطت حدودها واجتازت السدود وهضمت للرأى حقاً أو نصيباً [1] " .

ومن ثم فإن المتنبى لم يكن " يخلط بين الأشياء ، بل كان حصيفاً دقيقاً ، وذكياً خبيراً بالفوارق القائمة بين الأمور التى تتبدى له فى معترك قضيته ، فما كان بالغفل الذى يدع لسان الشر تطول لهياته هكذا فى الشجاعة أو الفروسية أو تمجيد القوة ، فقد كان يقرن الأحداث والمواقف ويقدر المنازل للرجال والرجال للمنازل ، وهذا إن دل على شئ فإنما يدل على ذكائه ووقدة شعوره وبصره وحذقه بالأحداث من حوله . . . فعندما تتقدم الشجاعة على الرأى تكون تهوراً وحمقاً ، والمتنبى يدرك هذه المعايير الدقيقة " [2] .

ولا يقلل من قيمة مطالعه الجيدة . ومنها تلك القصيدة . ما أورده الثعالبى فى كتابه (يتيمة الدهر) من بعض المطالع والابتداءات المنفرة من وجهة نظره ، ومنها قوله فى مطلع قصيدة يمدح بها محمد بن زريق الطرطوسى :

هذى برزت لنا فهجت رسيسا ثم انثنيت وما شفيت نسيسا

ويرد الدكتور إبراهيم على أبو الخشب على ما ذكره الثعالبى فيقول: ولا أدرى

(١) معالم العروبة فى شعر المتنبى . رؤية موضوعية ودراسة فنية د/ عبدالباسط سعيد عطايا ط مطابع الولاء الحديثة بشبين الكوم ص ١٤٧ .

(٢) المرجع السابق ص١٤٧ .

لأى شئ يعيبون هذا البيت ؟ وإن كانوا يعيبونه فهل يقدح ذلك فى القصيدة وفيها بعد ذلك عيون الشعر وروائع الكلم وآيات البلاغة ومرقصات المعانى أمثال قوله :

أبقـــى زريـــق للثغـــور محمـــدا أبقـــى نفـــيس للنفـــوس نفيســـا

ويذكر خمسة عشر بيتاً يبين فيها الصور الرائعة والأزهار اليانعة، والدرر اللامعة والنجوم الساطعة التى لا يعيب حسنها إلا بليد الإحساس ، فاتر الشعور ، بارد الإدراك ، ضعيف التذوق مريض القلب قصير النظر ، ناقص التمييز ، قليل الإنصاف ، ويرى أن المتنبى فى مطالعه لم يكن من البلاهة والسذاجة أو الغفلة بحيث يخفى عليه هذه الثغرات التى يدخل منها خصومه إليه ، وأن هذه الطعون إنما هى منقولة عن الصاحب بن عباد المتهم بالتحامل وغيره على المتنبى لأن المتنبى أبى أن يمدحه ، وأن مطالع المتنبى التى كانت من هذا القبيل كانت لقصد إثارة الوعى وإيقاظ الانتباه [1].

ثانياً : الصياغة

الصياغة فى الشعر " هى الجسم الذى يعبر عن كل ما تجسد فيه من روح ومعان وأفكار " [2] ، وقيمة الألفاظ وأهميتها تكمن فى أنها توضح فيها الدلالات توضيحاً تاماً ، وتكشف فيه المعانى انكشافاً دقيقاً ولا يحول بيننا وبينها أى حائل .

وينبغى ألا تتحول الألفاظ إلى صور لفظية يعيش فيها الشاعر " ناسيا أن مهمته أن يتغلغل فى أعماق النفس والطبيعة من حوله ، وأن يعيش فى هذه

(١) تاريخ الأدب العربى فى العصر العباسى الثانى د/ إبراهيم على أبو الخشب . الطبع والنشر دار الفكر العربى ص٤٤٤ : ص٤٤٩ .

(٢) فى النقد الأدبى د / شوقى ضيف ط الرابعة دار المعارف بمصر ص١١٠ .

المعانى معيشة تأملية تتيح له أن يكشف بعض مستغلقاتها، ويصور بعض مستبهماتها ، ويستخرج بعض مكنوناتها ، ويعرض علينا ذلك محاولاً أن يحررنا من واقعنا وأغلال علاقاتنا الجامدة فيه لا بألفاظ من حيث هى ، بل برصيدها المعنوى وما فى باطنه من مشاعره وأحاسيسه " [١] .

ومهارة الشاعر تكون فى ملاءته الدقيقة بين الألفاظ ومعانيه ، والروابط التى تصل بين أجزاء العبارة ، كما تصل بين العبارة وبين ما يجاورها من عبارات ، وتكون كذلك فى أن تكون اللفظة فصيحة خالية من الغرابة والشذوذ وتنافر الحروف ، وأن يكون الكلام مطابقاً لمقتضى الحال " [٢].

وأما الأسلوب فهو ما " يتركب من معانى الألفاظ مفردة ، ومن دلالات النظم والتركيب على هيئة معينة ثم من النغم الذى يحدثه اللفظ لانسجام حروفه ، أو من الإيقاع التى تتجاوب أصداؤه فى أجزاء النظم بعضها مع البعض ، ومن تلك الصور والإيحاءات والظلال التى تشعها الألفاظ وهى فى رباط قوى ، وتلاحم بين معانيها من كل ما تقدم يتركب الأسلوب ، فإن فقد حلقة من هذه الحلقات نقص وزنه الجمالى بقدر ثقلها وأصابه الضعف والتفكك بقدر مكانها . . . واللفظ فى الأسلوب حينما يأخذ مكانه منه و مما قبله وبعده يحمل شحنات قوية بإيحاءات وأضواء . ". [٣] .

وتختلف أساليب الشعر باختلاف الموضوعات التى يتناولها الشاعر، فأسلوب

(١) فى النقد الأدبى د / شوقى ضيف ص١١٢.

(٢) المرجع السابق ص١١٣ .

(٣) مجلة الفيصل العدد ٧١ جمادى الأولى سنة ١٤٠٣ هـ السنة السادسة سنة ١٩٨٣ م مقال بعنوان (بين الأسلوب والتصوير الأدبى) للدكتور على على مصطفى صبح ص٥٧ .

الحماسة والفخر قوى جليل ، وأسلوب العتاب أو النسيب رقيق جميل ، وأسلوب الوصف رائع جذاب ، وهذا الاختلاف منشؤه الناحية الوجدانية للنفس الإنسانية ، فالألفاظ والأساليب تختلف حسب الانفعالات الوجدانية وغيرها لدى الشاعر ، كالغضب والرضا والفرح والحزن ، والتفاؤل والتشاؤم ، والفزع والهدوء ، ففى مثل هذه الحالات تختلف ألفاظ الشاعر وأساليبه .

ففى الوصف مثلاً يختلف اللفظ والأسلوب فى ألوانه ، " فوصف الحسيات غير وصف المعنويات ، ووصف الحروب يختلف عن وصف المناظر الجميلة ، ولغة الأصوات المدوية تغاير لغة الألوان الزاهية . . يختلف أسلوب الوصف إذاً باختلاف ما يوصف ، فهو جزل قوى فى وصف الحروب وأصوات الطبيعة المفزعة ، ولين سلس فى وصف العواطف الرقيقة حباً وعتباً واعتذاراً ولهواً وطرباً ، ورائع جذاب فى وصف البروق اللامعة والكواكب النيرة والأزهار النضرة والأنغام الحلوة والجمال كيف كان " [1].

والمتنبى وإن كانت نونيته فى مدح سيف الدولة وهو الغرض الرئيس للقصيدة فإن معظم أبياتها تدور حول وصف الحرب والخيل والنهر والسيوف والدروع ، وهذا يتطلب ـ كما أشرنا من قبل ـ إلى ألفاظ قوية جزلة ، وأساليب رصينة متينة تتسم بالوضوح والقوة والجمال ، أى وضوح الفكرة والعبارة ، وقوة التصوير والتركيب وجمال الذوق والخيال بحيث يخلو من التنافر والخشونة التى تؤذى الحس والذوق ، وبحيث تتسم بالملاءمة الطبيعية بين الألفاظ والمعانى .

فمن الألفاظ الى تدل على آلات الحرب قول الشاعر(العوالى ـ الأجفان ويقصد

(١) الأسلوب لأحمد الشايب ط الثامنة ملتزم النشر والطبع مكتبة النهضة المصرية ص٧٣ .

بها غمد السيف . سمى سيوفه . الجياد . ابن سابقة . المدى . السفين . الأبيض الصارم . الدروع . التيجان . المطهم . المنصل . العقبان وهى سباع الطير . السيف . حنية . المثقف . المهند . سنان . الرماح . قواضب . السيوف . الحسام)[1] .

ومن ألفاظه التى تدل على الحرب ووصف المعركة قوله (الخوض . الوغى . الهيجاء . يغير . جحفل . غباره . كثافة ملكهم . ثائر . النجيع القانى . التقى الجمعان)[2] .

ومن ألفاظه التى تدل على الطعن والضرب والقتل قوله (طعن . تطاعن . الحمام . الخوض . الطعان . الطرق ضيقة . تضربهم دراكاً . الدراك . كثر القتيل . المنايا . سودت شعورهم شجر الجبال)[3] .

ومن ألفاظه التى تدل على القهر والقوة قوله (خضعت . أذل العنوة . النفس المرة . الجبن . جبان)[4] .

ومن ألفاظه التى تدل على الشجاعة قوله (شجاعة الشجعان . الضيغم . الفرسان . فوارس . جراءة . يقتل بسيفه)[5].

ومن ألفاظه التى تدل على البشر والسعادة والسرور قوله (اللجين . العقيان .

(١) ينظر الأبيات أرقام : ٥، ٦ ، ١١، ١٢ ، ١٨ ، ٢١ ، ٢٦ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٤ ، ٤٥ .

(٢) ينظر الأبيات أرقام : ٧ ، ١٠ ، ١٢ ، ١٤ ، ٢٤ ، ٢٧ ، ٣٩ ، ٤٣ ، ٤٤ .

(٣) ينظر الأبيات أرقام : ٣، ٧ ، ١١ ، ٣١ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ .

(٤) ينظر الأبيات أرقام : ٢٩ ، ٢، ٤٥ .

(٥) ينظر الأبيات أرقام : ١ ، ٤ ، ١٧ ، ٣٣ ، ٤٥ ، ٤٨ .

الحسان . الغزلان . أطعنه . الإحسان) [1].

ومن ألفاظه التى تدل على الحزن والألم قوله (الأحزان . احتقار . نسيان . قصر عن مداه . حوالك . غضاضة . الجماجم . الحرمان . مسفة)[2] .

ومن ألفاظه التى تدل على الكبرياء والرفعة قوله (العلياء . شرف ، العلا . راعاك . عظيم الشأن . يصعدن . الذرى مهذب رفعت . العماد . قمم . فخرهم)[3] .

ومن مفردات الشاعر الدالة على الطبيعة قوله (المطر . الماء . بحر . الظليم . السرحان . الدروب . الطرق . العقبان . شجر الحبال . الغربان . النارنج فى الأغضان) [4] ،

واستخدم الشاعر مفردات الغزل فى وصف المعارك والحروب كقوله (القلب . العيون . الحسان . الغزلان . مهجة ثائر . مهجته . قلوبهم كقلوبهن)[5] .

ومن أساليبه القوية وعباراته الرصينة قوله (السروج مجالس الفتيان . يا من يقتل من أراد بسيفه . الطرق ضيقة المسالك بالقنا . الكفر مجتمع على الإيمان . ما زلت تضربهم دراكاً . كثر القتيل وقل العانى . قد سودت شجر الجبال شعورهم . فى جحفل ستر العيون غباره . يغشاهم مطر السحاب . خص الجماجم والوجوه . قاد الجياد إلى الطعان . فتل الحبال من الغدائر فوقه . . . أذل دينك سائر الأديان .

(١) ينظر الأبيات أرقام : ٢٠ ، ٢٣ ، ٤١ ، ٤٨ .

(٢) ينظر الأبيات أرقام : ٧ ، ٨ ، ١٢ ، ٢٢ ، ٣٠ ، ٣٥ ، ٣٨ ، ٤٢ .

(٣) ينظر الأبيات أرقام : ٢ ، ٤ ، ٨ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ٤٦ ، ٤٧ .

(٤) ينظر الأبيات أرقام : ٣٧ ، ١٩ ، ٢٤ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٣٧ ، ٣٢ ، ٤٢ ، ٤٣.

(٥) ينظر الأبيات أرقام : ١٢ ، ١٤ ، ٢٣ ، ٣٩ ، ٤٤ ، وينظر كتاب : تشبيهات المتنبى ومجازاته د / منير سلطان الناشر دار المعارف بالإسكندرية . مركز الدلتا للطباعة ص ٢٣٣ ، وينظر كتاب : الصبح المنبى عن حيثية المتنبى تحقيق مصطفى السقا وآخرين ط الثالثة دار المعارف ص٤٣١ .

وجرى على الورق النجيع القانى) .

ونرى أن من خلال هذه الألفاظ وتلك المفردات والأساليب الشعرية الكثيرة المتنوعة دليلاً قوياً على ما كان يتمتع به المتنبى من ثقافة واسعة ، فقد كان " ينهل من البحر ، ويغترف من النهر ، ويعيش فى بيئة للعلم فيها سوق ، وللأدب فيها دولة ، وللمعارف على اختلاف ألوانها وتباين صورها تقدير أى تقدير " [1].

كما نرى من خلال هذه المفردات وتلك الأساليب كثرة استخدامه لما يعبر به عن وصف المعارك والحروب ، إذ " إنها تتوافق مع ميوله النفسية وإمكاناته الفنية ونزعاته الثورية ، فمنذ صباه وهو محارب بالكلمة مرة وبالسيف أخرى ، لذا تضخمت مفرداته الحربية وتعددت مفرداتها ، . . فأجج الواقع خياله ومزج خياله بمفردات الواقع ، فأتى بالغرائب . . " [2] .

ويضاف إلى ما ذكر أن المتنبى " قد وهبه الله ذاكرة واعية ، وفهماً ناقداً ، وقدرة على النقد والتمييز ونفساً شاعرة تأخذ من ذخائرها ما شاء ، وتنضو عنه ما يعلق به ، وتجلوه جلوة العروس فى ثياب عرسها ، وكذلك اتفق لأبى الطيب فى هذا العهد كل ما يعينه على النبوغ والسبق "[3] .

وتبدو شاعرية المتنبى فى إحاطته بهذه المفردات وتلك الألفاظ والأساليب كلها

---

(١) تاريخ الأدب العربى فى العصر العباسى الثانى د / إبراهيم على أبو الخشب . ملتزم الطبع والنشر دار الفكر العربى ص٤٢٣ .

(٢) تشبيهات المتنبى ومجازاته ص١٩٧ ، وينظر مجلة فصول المجلد الرابع العدد الثانى سنة ١٩٨٤ م مقال بعنوان (ظواهر أسلوبية فى شعر المتنبى) د/ عبده بدوى ص١٩٥ والمجلد السادس العدد الثانى سنة ١٩٨٦م ص٦٨ .

(٣) المتنبى . رسالة فى الطريق إلى ثقافتنا . لمحمود شاكر الناشر مطبعة المدنى بالقاهرة ودار المدنى بجدة سنة ١٤٠٧ هـ سنة ١٩٨٧ م ص٣٢٤ .

، وقدرته وبراعته فى توظيفها فى المعانى التى أرادها لها ، وحسن مواءمته بينها وبين الموضوعات التى تضمنتها واشتملت عليها ، وعلى الرغم مما اتصفت به ألفاظ المتنبى من صفات حسنة إلاّ أن بعض النقاد والباحثين قد وقعوا على بعض مظان الضعف لديه ، فيقول الدكتور إبراهيم عوض " وقد وجدت أن الشاعر قد يجعل الضمير العائد على اسم الموصول ضمير غيبة مع أنه فى معرض مدح [1].

وذكر مثال ذلك قول الشاعر[2] :.

يا من يقتل من أراد بسيفه أصبحت من قتلاك بالإحسان

وقد أخذ بعض النقاد على المتنبى أنه استعمل لفظاً فى غير موضعه على حين أن الخطأ هو خطأ هؤلاء النقاد ، كالصاحب بن عباد الذى حمل عليه حملة عنيفة لأنه قال عن أحد ممدوحيه أنه قتله بإحسانه وذلك فى هذا البيت ، إذ المفروض فى رأى الصاحب بن عباد أن الإحسان يحيى أما الذى يقتل فهو الحرمان ، والواقع أن المتنبى لم يخطئ هنا ، بل أراد أن يشير إلى كثرة كرم الممدوح ومجاوزته ما كان يتوقعه وأنه من ثم أصبح كالمقتول حياءً من ممدوحه وعجزاً أن يرد على هذا الكرم السابغ الفياض بمثله أو حتى يتحمله ونحن نعرف أن الشئ إذا زاد عن حده انقلب إلى ضده [3].

(١) لغة المتنبى ـ دراسة تحليلية د / إبراهيم عوض ط مطبعة الشباب الحر ومكتبتها بالقاهرة سنة ١٩٨٧ م ص٥١ .

(٢) شرح الديوان لأبى العلاء المعرى جـ٤ ص٥٤٢ ، وشرح العكبرى جـ٤ ص١٨٥، وشرح مصطفى سبيتى جـ٢ ص١٧٦.

(٣) لغة المتنبى دراسة تحليلية ص٢١٥ .

ويذكر للمتنبى شاهداً على إيراد الخبر المعرف بأل بدون ضمير فصل [1] ، وهو قول الشاعر[2] :.

وتوهموا اللعب الوغى والطعن فى الـ ـهيجاء غير الطعن فى الميدان

ثالثاً : الخيال والصور فى نونية المتنبى

الخيال حدث معقد ذو عناصر كثيرة يضيف تجارب جديدة ، وهو ليس مجرد تصور أشياء غائبة فى الحس ، وله خاصية تتمثل فى أنه يكسر الحاجز الذى يبدو عصياً بين العقل والمادة ، فيجعل الخارجى داخلياً والداخلى خارجياً ، ويجعل من الطبيعة فكراً ويحيل الفكر إلى الطبيعة[3] .

ويوضح الدكتور شوقى ضيف مفهوم الخيال فيقول إنه " الملكة التى يستطيع بها الأدباء أن يؤلفوا صورهم "[4] ، وأن الخيال الجيد هو " الذى يجمع طائفة من الحقائق : حقائق الوجدان وانفعالاته ويربط بين أشتاتها ربطاً محكماً لا ينكره الحس ولا العقل "[5] .

ويتوسع الدكتور على صبح فى مفهوم الخيال توسعاً فيه الإحاطة والشمول ، فيقول " هو ملكة فى نفس الأديب تخلق التوازن بين الأشياء وتؤلف بين

(١) المرجع السابق ص١٧١ .

(٢) شرح الديوان لأبى العلاء المعرى جـ٤ ص٥٣٠ ، وشرح العكبرى جـ٤ ص١٧٦، وشرح مصطفى سبيتى جـ٢ ص١٧٢.

(٣) الصورة الأدبية د / مصطفى ناصف . دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ط الثالثة سنة ١٩٨٣ م بيروت لبنان . ص١٨ ، ص٢٧ .

(٤) فى النقد الأدبى د/ شوقى ضيف ط الرابعة دار المعارف بمصر ص١٦٧، ص١٧٥.

(٥) المرجع السابق ص١٧٥ .

المتناقضات ، وتوفق بين المتعارضات ، وتمزج بين الإحساس الجديد الطارئ وبين القديم المخزون فى النفس ، وتركب بين الواقع المرئى المشاهد وبين الواقع المذاب فى الذهن ، وتنظم بين الانفعال العادى ، وبين الدرجة العالية منه ، ليتم من وراء ذلك تأليف صور الخيال المختلفة التى يؤمها الأديب فى بناء جديد نتج عن علاقات جديدة بين الأشياء المأخوذة من الواقع بالتغيير فى أحجامها وأشكالها وعناصرها وتركيبها "(١) .

ويشير الدكتور حسن عبدالسلام إلى أن الخيال الخصيب هو " إحدى القدرات الخاصة التى يتميز بها الشاعر عن غيره من الناس ، وبواسطته تلبس الأفكار والحقائق والمشاهد والمشاعر صوراً تجسدها وتشخصها وتبرزها فى معارض فنية تدنى ما بعد منها وتظهر ما خفى واستكن " (٢) .

وبمقدار قوة خيال الشاعر تكون قيمة قصيدته من الناحية التصويرية ، لذا لابد للأديب من أن يكون خياله خالقاً يبتكر الصور ابتكاراً ، ويستقيها من عالمه ومشاهده ، وأن يكون على دراية تامة بأن هناك بوناً شاسعاً بين أن تستمد الصور عن طريق التصور الخيالى وبين أن تستمد عن طريق الحقيقة والواقع .

وهذه الصور الشعرية . كما يقول الدكتور زكى مبارك . هى " أثر الشاعر المفلق الذى يصف المرئيات وصفاً يجعل قارئ شعره ما يدرى أيقرأ قصيدة مسطورة أم يشاهد منظراً من مناظر الوجود . . . والصور الشعرية لا تكمل إلا حين يحيط الوصف بجميع أنحاء الموصوف ، ولها فضل فى تمكين المعنى فى نفس القارئ

(١) البناء الفنى للصورة الأدبية فى الشعر د / على على صبح ط سنة ١٤١٦هـ سنة١٩٩٦م الناشر المكتبة الأزهرية للتراث ص١٢٧ .

(٢) الجندية وأثرها فى شعر البارودى د / حسن عبدالسلام رقم الإيداع ٥٧١٢ /٩٧ ص١٠٧ .

والسامع " [1] .

والصورة الأدبية هى " التركيب القائم على الإصابة فى التنسيق الفنى الحسى لوسائل التعبير التى ينتقيها وجود الشاعر- أعنى خواطره ومشاعره وعواطفه . المطلق من عالم المحسات ليكشف عن حقيقة المعنى أو المشهد فى إطار قوى نام محسن مؤثر على نحو يوقظ الخواطر والمشاعر فى الآخرين " [2] .

وقد تنوعت الصور الجزئية لدى المتنبى ، فكان هناك التشبيه والكناية والاستعارة ، وإن كانت الكناية والاستعارة أقل وروداً فى القصيدة من التشبيه ، فقد استعان الشاعر بالتشبيه أكثر من استعانته باللونين الآخرين .

والغرض الرئيس فى نونية المتنبى هو المدح ، وقصائد المدح لديه على نوعين ، النوع الأول قصائد قلت فيها الصور البيانية والسبب فى ذلك كما يقول الدكتور طه أبو كريشة هو " تصنع المتنبى للمدح وفقدانه للعاطفة المشبوبة التى تواكب مدحه إذ أن وجود العاطفة والانفعال النفسى له أثر كبير فى استجلاب الصور وفى الاستعانة بالخيال "[3] .

والنوع الثانى قصائد كثرت فيها الصور البيانية ، ليس فيها تصنع، وتبدو فيها العاطفة المشبوبة والصور البيانية الكثيرة الرائعة ، وهى تلك القصائد التى مدح فيها

(١) الموازنة بين الشعراء لزكى مبارك ط الثالثة سنة ١٣٩٣هـ سنة ١٩٧٣م مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده مصر ص٦٩ ، ص٧٤ .

(٢) مجلة الفيصل ـ العدد ٧١ جمادى الأولى سنة ١٤٠٣ هـ السنة السادسة سنة ١٩٨٣م مقال بعنوان (بين الأسلوب والتصوير الأدبى للدكتور على على مصطفى صبح ص٥٧ .

(٣) الخيال الشعرى عند أبى الطيب المتنبى د/طه مصطفى أبو كريشة ط أولى سنة ١٣٩٨ هـ سنة ١٩٧٨ م ص٣٥ .

المتنبى سيف الدولة ، وهذا النوع من المدائح " مصحوب بالعاطفة والإعجاب نحو الممدوح . . نلاحظ فيه اقتناع المادح بالممدوح ، وإحساسه بأنه أقل من أن يستطيع تصوير صفات الممدوح بالصورة التى يستحقها لأنها من الكثرة والشمول "[1] .

والقصيدة وإن كان غرضها الرئيس هو المدح إلا أن الشاعر عرض فيها بعض الأفكار والموضوعات الأخرى كوصف المعركة التى دارت بين سيف الدولة الحمدانى وبين أعدائه من الروم ، فقد وصف ما رأى وسجل ما عاين وصور بعين الجندى المحارب الجيوش وهى ذاهبة إلى أرض المعركة ، وهى متلاحمة مع الأعداء ، وصورها كذلك وهى قافلة بعد أن حققت هدفها وغايتها ، وذلك من خلال الصور الجزئية والكلية .

فمن الصور الجزئية التى استعان بها المتنبى واعتمد عليها فى نونيته التشبيه ، فقد جعله الركن الأساس فى مدح سيف الدولة الحمدانى، وفى وصف خيله ، وتصوير المعركة التى دارت بينه وبين الروم ، ووصف الماء والدماء ، ووصف السفن ، ووصف جنوده وسيوفهم ورماحهم ، وتصوير اللحظات المبهجة حين انتصر على أعدائه ، وتصوير هزيمتهم على يديه .

فمن نماذج التشبيه التى اعتمد فيها على مدح سيف الدولة قوله البيت السادس[2] :

لولا سمى سيوفه ومضاؤه لما سللن لكن كالأجفان

(١) الخيال الشعرى عند أبى الطيب المتنبى د/طه مصطفى أبو كريشة ص٣٦ .

(٢) شرح ديوان أبى الطيب المتنبى لأبى العلاء المعرى جـ٤ ص٥٢٩ وشرح العكبرى جـ٤ ص١٧٢ وشرح مصطفى سبيتى جـ٢ ص١٧١ .

فيشبه الشاعر الأغماد فى حال عدم مضائها بالأجفان فى قلة الغناء ، والمراد بالأجفان هنا الأغماد ، والمعنى أن السيوف دونه لا فعاليه لها ، ولولاه كانت كالأغماد لها أشكال السيوف ولكنها لا تقطع.

واعتمد الشاعر على التشبيه فى وصف خيل سيف الدولة فى أبيات متعددة ، ففى البيت الحادى عشر يقول[1] :

قاد الجياد إلى الطعان ولم يقد إلا إلى العادات والأوطان

فقد شبه الشاعر خيل سيف الدولة التى قادها إلى المطاعنة ، ولم يكن قوده لها أول مرة ، بل قد سبق له أمثالها ، وألفت خيله التردد إلى الروم والمعارك والحروب بانقيادها إلى أوطانها التى تعودت الإقامة بها.

ويصور الشاعر فى البيت السادس عشر سرعة الخيل وخفتها بطريق التشبيه فيقول[2] :

فكأن أرجلها بتربة منبج يطرحن أيديها بحصن الران

فكأن هذه الخيل لخفتها وسرعتها تكون أرجلها بمنبج وأيديها بحصن الران ، فلا يتخلل من مسيرها من هاتين المدينتين إلا مقدار الزمان الذى تتخلله الخطوة الواحدة ، فهى تقطع ما بينهما بخطوة واحدة .

ويقول الشاعر فى البيت الثامن عشر[3]:

(١) شرح الديوان لأبى العلاء المعرى جـ٤ ص٥٣٠ ، وشرح العكبرى جـ٤ ص١٧٦، وشرح مصطفى سبيتى جـ٢ ص١٧٢ .

(٢) شرح الديوان لأبى العلاء المعرى جـ٤ ص٥٣٢ ، وشرح العكبرى جـ٤ ص١٧٧، وشرح مصطفى سبيتى جـ٢ ص١٧٢ .

(٣) شرح الديوان لأبى العلاء المعرى جـ٤ ص٥٣٢ ، وشرح العكبرى جـ٤ ص١٧٧، وشرح مصطفى

يقمصن فى مثل المدى من بارد يذر الفحول وهن كالخصيان

ففيه تشبيهان الأول أن هذا النهر الذى عبر جيش سيف الدولة يعمل فى البدن مثلما تعمل السكاكين من شدة برده والثانى أن الخصى تقلصت وبردت حتى صارت الفحول مثل الخصيان .

وفى البيت الثانى والثلاثين يشبه المتنبى الخيل بالعقبان فى سرعتها، والدروع التى على الفرسان والبيض وغيرها كأنها علت العقبان وصعدت بين مناكبها ، فيقول[1] :

نظروا إلى زبر الحديد كأنما يصعدن بين مناكب العقبان

وللسفن نصيب من تشبيهات المتنبى فى نونيته ، فيقول فى البيت الثانى والعشرين والثالث والعشرين[2]:

وحشاه عادية بغير قوائم عقم البطون حوالك الألوان

تأتى بما سبت الخيول كأنها تحت الحسان مرابض الغزلان

فيشبه الشاعر فى البيت الأول السفن العقيمة التى لا تلد بسائر الخيول العادية وكان لها قوائم ، ومن عادتها أن تنتج ، فبين أنه أراد السفن ولم يرد الخيل ، ويشبه فى البيت الثانى النساء والولدان بالغزلان، والسفن بمرابض للغزلان .

وللجنود نصيب من تشبيهات المتنبى فى نونيته ، يقول فى البيت السابع

سبيتى جـ٢ ص١٧٣ .

(١) شرح الديوان لأبى العلاء المعرى جـ٤ ص٥٣٧ ، وشرح العكبرى جـ٤ ص١٨١، وشرح مصطفى سبيتى جـ٢ ص١٧٤ .

(٢) شرح الديوان لأبى العلاء المعرى جـ٤ ص٥٣٤ ، وشرح العكبرى جـ٤ ص١٧٨، وشرح مصطفى سبيتى جـ٢ ص١٧٣ .

والعشرين[1]:.

متصـــعلكين علـــى كثافـــة ملكهـــم متواضـــعين علـــى عظـــيم الشـــان

ففى البيت تشبيه ضمنى صور فيه الشاعر الجنود بأنهم مع عظمة ملكهم يعيشون كالصعاليك فى خشونة العيش وهول الأسفار وكثرة الغزوات وفقد المال لأن كل ما يغنمونه يخرجونه ، وهم على عظم شأنهم يتواضعون كرماً وحباً وتقرباً إلى الناس .

وهؤلاء الجنود يتبعون آباءهم فى الشرف والسبق إليه كالفرس المطهم الذى يشبه أباه فى البراعة ، يقول الشاعر فى البيت الثامن والعشرين[2]:.

يتقيلـــون ظـــلال كـــل مطهـــم أجـــل الظلـــيم وربقـــة الســـرحـــان

فكل واحد منهم يتشبه بأب كريم ويتبعه كما يتبع الفرس ظله ويسبق إلى المجد والكرم كالفرس المطهم إذا رأى الظليم أهلكه وإذا رأى الذئب شده وجذبه .

ويستعين الشاعر بالتشبيه فى وصف المعركة وشدتها حتى جعل الغبار لكثافته يحجب الرؤية أمام الخيل فكأنها وهى تسير تبصر بآذانها لا بعيونها ، فيقول فى البيت الرابع عشر[3] :.

فـــى جحفـــل ســـتر العيـــون غبـــاره فكأنمـــــا يبصـــــرن بـــــالآذان

(١) شرح الديوان لأبى العلاء المعرى جـ٤ ص٥٣٥ ، وشرح العكبرى جـ٤ ص١٧٩، وشرح مصطفى سبيتى جـ٢ ص١٧٤ .

(٢) شرح الديوان لأبى العلاء المعرى جـ٤ ص٥٣٥ ، وشرح العكبرى جـ٤ ص١٥٩، وشرح مصطفى سبيتى جـ٢ ص١٧٤ .

(٣) شرح الديوان لأبى العلاء المعرى جـ٤ ص٥٣١ ، وشرح العكبرى جـ٤ ص١٧٦، وشرح مصطفى سبيتى جـ٢ ص١٧٢ .

ويعلق الدكتور الوصيف هلال الوصيف على هذا البيت فيقول:" لقد نشط خيال الشاعر وانطلق شيطانه ، فإذا بالحواس تتبادل معطياتها ، فلم يعد الإبصار مدركاً حسياً للعين وحدها ، ولكن الآذان أيضاً أصبحت ترى وتبصر . . فإذا استطاعت الآذان أن تحقق ذلك فى يسر وسهولة واقتدار ، فلم لا تستبطن حاسة العين وتؤدى وظيفتها، وذلك من خلال تشبيه الأذن فى تحديدها للمدرك الحسى بالعين فى كشفها له ورؤيتها إياه والذى يجمع بين المشبه والمشبه به هو الرؤية " [1] ، ويسمى تلك الصور التشبيهيه بالصور السمعية التى يكون السمع فيها واحداً " من منافذ إدراك الأشياء وتصورها والإحساس بها والانفعال لها وتصويرها . . وهو يعتمد فى استلهام قيمه الجمالية على الصوت الذى يثير فيمن يصغى إليه ويستمع إلى نبراته وهمسه وجهره وشدته ولينه انفعالاً خاصاً . . . والمتنبى الذى أصبح الدهر منشداً لشعره وغنى به من لا يغنى مفرداً قد توسل بالصوت فى تجلية تشبيهاته السمعية " [2] .

فهو يشير إلى ما فى هذا البيت من تراسل الحواس الذى تقوم فيه الحواس مقام بعضها ، فتؤدى العين وظيفة السمع ، ويؤدى السمع وظيفة العين وغير ذلك مما جدّ واستحدث فى العصر الحديث من مصطلحات أدبية .

وفى البيتين الرابع والثلاثين والخامس والثلاثين يشبه الممدوح سيف الدولة . وهو يضرب الأعداء ضرباً فى إثر ضرب متوالياً من دون أن يتخللها فكأنه يضربهم بسيفين لسرعة تقطيعه وإنفاذه فى العدو، كما يشبه الممدوح وهو يخص فى ضربه

(١) التصوير البيانى فى شعر المتنبى د / الوصيف هلال الوصيف إبراهيم ط أولى سنة ١٤٢٦ هـ سنة ٢٠٠٦ م مكتبة وهبة . عابدين . القاهرة ص٣١١ .

(٢) المرجع السابق ص٣٠٨ .

الجماجم والوجوه دون بقية الأبدان والأجسام كأنه أعطى تلك البقية من أجسامهم وأبدانهم أماناً ألا يمسها بضرب ، فجاءت غير مكترثة بما فوقه من رؤوس ، يقول المتنبى فى ذلك [1]:.

ما زلت تضربهم دراكاً فى الذرى ضرباً كأن السيف فيه اثنان

خص الجماجم والوجوه كأنما جاءت إليك جسومهم بأمان

ويركز المتنبى فى حديثه عن السيوف والرماح فى باب التشبيه على جانب الكثرة ، فيجعلها مطراً نازلاً من السحاب ويجعل سيف الدولة السحاب نفسه ، فيقول فى البيت السابع والثلاثين[2] :.

يغشاهم مطر السحاب مفصلاً بمهند ومثقف وسنان

فقد أصاب العدو نازل من السحاب مفصلاً بالسيوف والرماح كما يفصل العقد بالدر والذهب ، وقال ابن جنى : إن المراد بالسحاب هو جيش سيف الدولة ، فشبهه بالسحاب لكثافته ، ولما جعله سحاباً جعل مطره الرماح والسيوف فهو يريد أن وقع السحاب كوقع المطر يأتى دفعة دفعة ، فهى تقع بهم مفصلة تارة بالرماح وتارة بالسيوف فلهذا قال مفصلا .

وثمة فرق بين سيوف فى يد الشجعان وسيوف فى يد الجبان ، يقول الشاعر فى البيتين الرابع والأربعين والخامس والأربعين[3]:.

(١) شرح الديوان لأبى العلاء المعرى جـ٤ ص٥٣٨ ، وشرح العكبرى جـ٤ ص١٨٢، وشرح مصطفى سبيتى جـ٢ ص١٧٤ .

(٢) شرح الديوان لأبى العلاء المعرى جـ٤ ص٥٣٩ ، وشرح العكبرى جـ٤ ص١٨٢، وشرح مصطفى سبيتى جـ٢ ص١٧٥ .

(٣) شرح الديوان لأبى العلاء المعرى جـ٤ ص٥٤١ ، وشرح العكبرى جـ٤ ص١٨٤، وشرح مصطفى سبيتى جـ٢ ص١٧٥ ، ص١٧٦ .

إن السيوف مع الذين قلوبهم كقلوبهن إذا التقى الجمعان
تلقى الحسام على جراءة حدة مثل الجبان بكف كل جبان

فالشاعر يشبه السيوف وهى تنصر الفرسان الشجعان ممن تكون قلوبهم صلبة كقلوب هذه السيوف عند اجتماع الجيشين ، أما الصنف الثانى من السيوف فهى التى تكون فى أيدى الروم ، وهى التى مع جراءة حدها غير قاطعة ، فكأنها جبان مثل أصحابها الحاملين لها ، وجبنها هو قلة مضائها .

وبعد أن صور المتنبى ـ من خلال تشبيهاته ـ انتصارات سيف الدولة نراه يصف ما منى به عدوه من هزيمة منكرة ، وما حلّ به من عار ، وعدم ثباته فى المعركة ، فيقول فى البيتين الثانى والأربعين والثالث والأربعين[1]:.

قد سودت شجر الجبال شعورهم فكأن فيه مسفة الغربان
وجرى على الورق النجيع القانى فكأنه النارنج فى الأغصان

صور المتنبى فى هذين البيتين كثرة القتلى فى المعركة ، فجعلت الريح حين هبت عليهم أطالت شعورهم فوق شجر الجبال فسودته ولونته بلونها ، فإذا نظر إليها الرائى من مسافة بعيدة خيل إليه أنها غربان تحط عليها من عل[2] ، فالتشبيه " يقوم من خلال تشبيه سواد شعورهم وهى معلقة بأعالى الأشجار التى حملتها الريح إليها بالغربان القريبة منها فى لونها ويجمع بين الطرفين هذا اللون الأسمر"[3] .

(١) شرح الديوان لأبى العلاء المعرى جـ٤ ص٥٤٠ ، وشرح العكبرى جـ٤ ص١٨٣ ، ١٨٤ ، وشرح مصطفى سبيتى جـ٢ ص١٧٥ .
(٢) الخيال الشعرى عند أبى الطيب المتنبى ص٧٣ ، ص٧٤ .
(٣)التصوير البيانى فى شعر المتنبى ص٣٠٦ .

ويعلق الدكتور طه أبو كريشة على هذه الصورة . فكأنه النارنج فى الأغصان . فيقول : " والمعروف أن صورة النارنج البادى من خلال الشجرة صورة مبهجة سارة ، وتلك هى عادة المتنبى فى وصف الحرب : إذ نراه يضفى على الوصف شيئاً من إحساسه المبتهج لمواقف القتال ومظاهره "[١] .

ويستعين الشاعر كذلك بالتشبيه فى وصف الماء والدماء فى بيته العشرين ، حيث يقول[٢] :.

ركــض الأميــر وكــاللجين حبابــه وثنــى الأعنــة وهــو كالعقبــان

فهو يشبه مياه النهر فى صفائه بالفضة البيضاء ، وشبه مياهه لما سال إليه من دماء القتلى والجرحى وخالطه من دماء الروم بالذهب الأحمر " فالمتنبى يشبه حباب النهر قبل القتال وخيل الأمير تركضه بالفضة فى لونها الأبيض الصافى المعروف ، كما يشبهه بعد القتال الذى لم يستمر طويلاً بمجرد ثنى الأعنة للخيول وقد تفجرت دماء الأعداء وجرت فيه بالذهب فى لونه والتشبيه من النوع المقرون الذى جمع فيه كل طرف مع صاحبه " [٣].

ويختم المتنبى تشبيهاته بتشبيه يصف فيه سيف الدولة بأنه أصل العرب فى فخرها وشرفها فيقول فى البيت السابع والأربعين [٤]:.

(١) الخيال الشعرى عند أبى الطيب المتنبى ص٧٤ .

(٢) شرح الديوان لأبى العلاء المعرى جـ٤ ص٥٣٣ ، وشرح العكبرى جـ٤ ص١٧٨، وشرح مصطفى سبيتى جـ٢ ص١٧٣.

(٣) التصوير البيانى فى شعر المتنبى ص٣٠١ .

(٤) شرح الديوان لأبى العلاء المعرى جـ٤ ص٥٤٢ ، وشرح العكبرى جـ٤ ص١٨٥، وشرح مصطفى سبيتى جـ٢ ص١٧٦.

أنســـاب فخـــرهم إليـــك وإنمـــا أنســـاب أصـــلهم إلـــى عـــدنان

فالعرب تنتسب إلى عدنان بالأصل وإلى الممدوح بالفخر ، وهكذا كانت تشبيهات المتنبى فى نونيته ، حيث تعددت ألوان التشبيه فى موضوعات القصيدة وأفكارها ، ولم يقتصر فيه على موضوع دون آخر أو فكرة دون أخرى ، بل شملها كلها فأبدع الشاعر فيها وعرضها فى معرض حسن .

ومن ألوان البيان فى نونية المتنبى الإستعارة وهى كما قال عنها الجاحظ " تسمية الشئ باسم غيره إذا قام مقامه " (١) ، وقد جاءت فى مواضع قليلة فى القصيدة ، منها قوله فى البيت الثالث (٢) :.

ولربمـــا طعـــن الفتـــى أقـــرانه بـــالرأى قبـــل تطـــاعن الأقـــران

ففى قوله (طعن الفتى أقرانه بالرأى) استعارة مكنية ، حيث شبه الرأى بسكين أو سيف أو رمح يُطعن به من دون حرب أو قتال .

(١) أسرار البلاغة لعبدالقاهر الجرجانى جـ٢ ص٨٨ .

(٢) شرح الديوان لأبى العلاء المعرى جـ٤ ص٥٢٩ ، وشرح العكبرى جـ٤ ص١٧٤، وشرح مصطفى سبيتى جـ٢ ص١٧١.

ويشبه الشاعر آداب الوغى بالأرسان وذلك على سبيل الاستعارة المكنية فى قوله فى البيت الثالث عشر(١):

إن خليت ربطت بآداب الوغى فدعاؤها يغنى عن الأرسان

ويقول الشاعر فى بيته التاسع والعشرين(٢):.

خضعت لمنصلك المناصل عنوة وأذل دينك سائر الأديان

فقوله (وأذل دينك سائر الأديان فيه استعارة مكنية ، حيث شبه الدين بإنسان من صفاته الإذلال وغيره وشبه المناصل وهى السيوف فى خضوعها وانقيادها للممدوح بإنسان من صفاته تلك الصفات فى قوله (خضعت المناصل) وذلك على سبيل الاستعارة المكنية .

ويقول الشاعر فى بيته الواحد والأربعين(٣) :.

ومهذب أمر المنايا فيهم فأطعنه فى طاعة الرحمن

ففى البيت استعارتان ، الأولى فى قوله (أمر المنايا) والثانية فى قوله (أطعنه) ، وقد جعل الشاعر " المنايا تؤمر ، وهى تطيع آمرها ، لأن طاعته من طاعة الله تعالى ، ومظهر الطاعة والخضوع يبدو فى أن تصرع هؤلاء الأعداء

(١) شرح الديوان لأبى العلاء المعرى جـ٤ ص٥٣١ ، وشرح العكبرى جـ٤ ص١٧٦، وشرح مصطفى سبيتى جـ٢ ص١٧٢.

(٢) شرح الديوان لأبى العلاء المعرى جـ٤ ص٥٣٦ ، وشرح العكبرى جـ٤ ص١٨٠، وشرح مصطفى سبيتى جـ٢ ص١٧٤.

(٣) شرح الديوان لأبى العلاء المعرى جـ٤ ص٥٤٠ ، وشرح العكبرى جـ٤ ص١٨٣، وشرح مصطفى سبيتى جـ٢ ص١٧٥.

وتفيض أرواحهم " [1] ، أى أمر الشاعر الموت فأطاعه فى الروم وذلك من طاعة الله ، لأن سيف الدولة يجاهد فى سبيله .

ويقول الشاعر فى البيت الثانى والأربعين[2]:.

قد سودت شجر الجبال شعورهم فكأن فيه مسفة الغربان

فقد نسب فى قوله (سودت شعورهم الجبال) الفعل إلى الشعور وذلك على سبيل الاستعارة المكنية ، ونسب نصرة الفرسان الشجعان الذين قلوبهم صلبة كالحديد للسيوف ، هذا بالإضافة إلى أنه جعل للسيوف قلوباً كالإنسان .

وفى البيت الثامن والأربعين الذى يقول فيه الشاعر[3] :.

يا من يقتل من أراد بسيفه أصبحت من قتلاك بالإحسان

استعارة فى قوله (أصبحت من قتلاك بالإحسان) حيث شبه الإحسان بسيف أو رمح يقتل والقصد منه الاستعباد حيث جعل الشاعر نفسه من جملة قتلى إحسان سيف الدولة .

ويقول الشاعر فى البيت الثامن والعشرين [4] :.

يتقيلون ظلال كل مطهم أجل الظليم وربقة السرحان

(١) الخيال الشعرى عند أبى الطيب المتنبى ص٧٣ .

(٢) شرح الديوان لأبى العلاء المعرى جـ٤ ص٥٤٠ ، وشرح العكبرى جـ٤ ص١٨٣، وشرح مصطفى سبيتى جـ٢ ص١٧٥.

(٣) شرح الديوان لأبى العلاء المعرى جـ٤ ص٥٤٢ ، وشرح العكبرى جـ٤ ص١٨٥، وشرح مصطفى سبيتى جـ٢ ص١٧٦.

(٤) شرح الديوان لأبى العلاء المعرى جـ٤ ص٥٣٥ ، وشرح العكبرى جـ٤ ص١٧٩، وشرح مصطفى سبيتى جـ٢ ص١٧٤.

فلفظ (الظلال) استعارة " لأن ظل كل شئ موازنه وعلى سمته ، كأنه استحيا من قائل يقول له : فما تصنع بالظل وهو يريد أن يتقيل أباه؟ فاعتذر له بالعذر الحسن الذى قد سمعته . . " فيريد بذلك " احتذاءهم طريق آبائهم وسلوك مذاهبهم من غير تبديل ولا تعريج " (١) .

ومن الصور البيانية فى نونية المتنبى الكناية وهى قليلة كالاستعارة فى القصيدة ، حيث لم ترد إلا فى ستة أبيات ، أولها فى قوله فى البيت الحادى عشر والثالث عشر (٢):.

قاد الجياد إلى الطعان ولم يقد إلا إلى العادات والأوطان

إن خليت ربطت بآداب الوغى فدعاؤها يغنين الأرسان

فهذان البيتان كناية عن كثرة مشاركة الخيل فى الحرب وعدم رغبتها عنها حتى تكونت لها لغة مشتركة بينها وبين قائدها تستطيع من خلالها أن تعى ما يريده منها ، " ومفردات هذه اللغة ما فى هذه الأبيات من إشارات العيون ولحاظ الأحداق ونداءات الكلام بحيث لا تقاد كما يقاد غيرها من سائر الحيوانات " (٣).

ومن نماذج الكناية فى النونية قول الشاعر فى البيت السادس عشر (٤):.

فكأن أرجلها بتربة منبج يطرحن أيديها بحصن الران

(١) أبيات المعانى فى شعر المتنبى . دراسة أدبية نقدية مقارنة د / عبده عبدالعزيز قلقيلة ط سنة ١٤١٣ هـ سنة ١٩٩٣ م الطبع والنشر دار الفكر العربى ص٧٣ وما بعدها .

(٢) شرح الديوان لأبى العلاء المعرى جـ٤ ص٥٣٠ ، ص٥٣١ ، وشرح العكبرى جـ٤ ص١٧٦، وشرح مصطفى سبيتى جـ٢ ص١٧٢.

(٣) الخيال الشعرى عند أبى الطيب المتنبى ص٦١ .

(٤) شرح الديوان لأبى العلاء المعرى جـ٤ ص٥٣٢ ، وشرح العكبرى جـ٤ ص١٧٥، وشرح مصطفى سبيتى جـ٢ ص١٧١.

فهذا البيت كناية عن شدة سرعتها وسعة خطوها ، وتشوقها للوصول إلى بلاد الروم ، فهى تريد اختصار المسافة بخطوة واحدة .

وترد الكناية كذلك فى البيت السابع عشر ، حيث يقول الشاعر[1]:.

حتى عبرن بأرسناس سوابحا ينشرن فيه عمائم الفرسان

فالشطر الثانى كناية عن سرعة الخيل فى السباحة ، حيث سار سيف الدولة بخيله وعبرت الخيل النهر سابحة وكانت تنشر عمائم الفرسان فوقهم ، لسرعتهن فى السباحة فتضطرب العمائم لذلك .

وفى البيت الثامن والعشرين كناية عن سرعة الخيل كذلك فى قوله(يتقيلون) فيقول الشاعر[2] :.

يتقيلون ظلال كل مطهم أجل الظليم وربقة السرحان

وفى البيت الثالث والثلاثين كناية عن حب الفرسان للشهادة واعتقادهم بحياتهم بعد الموت كذلك ، فالموت يحي نفوسهم يقول الشاعر فى ذلك[3] :.

وفوارس يحيى الحمام نفوسها فكأنها ليست من الحيوان

ويختم الشاعر كناياته بقوله فى البيت السادس والأربعين[4]:.

(١) شرح الديوان لأبى العلاء المعرى جـ٤ ص٥٣٢ ، وشرح العكبرى جـ٤ ص١٧٧، وشرح مصطفى سبيتى جـ٢ ص١٧٣.

(٢) شرح الديوان لأبى العلاء المعرى جـ٤ ص٥٣٥ ، وشرح العكبرى جـ٤ ص١٧٩، وشرح مصطفى سبيتى جـ٢ ص١٧٤.

(٣) شرح الديوان لأبى العلاء المعرى جـ٤ ص٥٣٨ ، وشرح العكبرى جـ٤ ص١٨١، وشرح مصطفى سبيتى جـ٢ ص١٧٤.

(٤) شرح الديوان لأبى العلاء المعرى جـ٤ ص٥٤١ ، وشرح العكبرى جـ٤ ص١٨٤، وشرح مصطفى

رفعت بك العرب العماد وصيرت قمم الملوك مواقد النيران

فالبيت كناية عن الشرف ، لأن الرجل إذا كان شريفاً كان عماد بيته ، فالعرب تشرفت بسيف الدولة ، فقتلوا الملوك وجعلوا هاماتهم أثافى لقدورهم .

ومن الصور الجزئية التى وردت فى نونية المتنبى على قلة (الجناس) و (الطباق) ، أما الجناس فقد جاء فى قوله فى البيت الرابع [1]:.

لولا العقول لكان أدنى ضيغم أدنى إلى شرف من الإنسان

فقوله (أدنى) الأولى والثانية بينهما جناس ، فالكلمة الأولى تعنى الحقارة والثانية تعنى القرب .

وأما الطباق فجاء فى قوله فى البيت الخامس عشر[2]:.

يرمى بها البلد البعيد مظفر كل البعيد له قريب دان

فالطباق بين كلمتى (البعيد) و(قريب) .

هذا عن الصور الجزئية ، أما الصور الكلية فجاءت فى القصيدة شاملة الصوت واللون والحركة ومصورة مشاهد المعركة وغيرها ، من ذلك قول الشاعر فى الأبيات من الرابع عشر إلى العشرين : .

فى جحفل ستر العيون غباره فكأنما يبصرن بالآذان

سبيتى جـ٢ ص١٧٦.

(١) شرح الديوان لأبى العلاء المعرى جـ٤ ص٥٢٩ ، وشرح العكبرى جـ٤ ص١٧٤، وشرح مصطفى سبيتى جـ٢ ص١٧١.

(٢) شرح الديوان لأبى العلاء المعرى جـ٤ ص٥٣١ ، وشرح العكبرى جـ٤ ص١٧٧، وشرح مصطفى سبيتى جـ٢ ص١٧٢.

يرمى بها البلد البعيد مظفر كل البعيد له قريب دان
فكأن أرجلها بتربة منبج يطرحن أيديها بحصن الران
حتى عبرن بأرسناس سوابحا ينشرن فيه عمائم الفرسان
يقمصن فى مثل المدى من بارد يذر الفحول وهن كالخصيان
والماء بين عجاجتين مخلص تتفرقان به وتلتقيان
ركض الأمير وكاللجين حبابه وثنى الأعنة وهو كالعقبان

فيصور فى هذه الأبيات سيف الدولة وقد قاد جياده فى جيش عظيم قد ثار غباره حتى ستر العيون ، وأطبق الجنون من كثافته وكثرته ، حتى جعل الخيل تبصر بآذانها لا بعيونها ، وكانت خيله حينئذ مهيأة للحرب والنزال ومعدة للقتال والنضال ، ينبئ عن ذلك خفتها وسرعتها وسعة خطوها ، وقدرتها على اجتياز النهر سابحة تنشر عمائم الفرسان فوقهن لسرعتها ، ولم تهب ماء النهر البارد الذى يعمل فى الأبدان ما تعمله السكاكين والأسنة والرماح ، وقد ركض الأمير وكان الماء حينئذ فى الصفاء كالفضة الخالصة البياض ، وثنى عنانه مقفلاً وراجعاً ، وقد صار كالذهب لما امتزج به من دماء القتلى والجرحى وخالطه من دماء الروم ، وقد اتكئ الشاعر فى هذه الصورة الكلية على بعض الصور الجزئية كالتشبيه فى قوله (فكأنما يبصرن بالآذان) وقوله (فكأن أرجلها . . .) وقوله (وهن كالخصيان) وقوله (وكاللجين) وقوله (وهو كالعقبان) ، وكالكناية فى البيت السادس عشر وهو كناية عن سرعة الخيل وخفتها ، والبيت السابع عشر وهو كناية عن سرعة الخيل فى السباحة ، والطباق فى قوله (البعيد ، القريب) وقوله (تفترقان وتلتقيان) ، هذا بالإضافة لما تشمله الأبيات من ألفاظ تدل على الصوت واللون والحركة ، كقوله عن الحركة (فى جحفل ، عبرن ، سوابحاً ، يقمصن ، تتفرقان ، وتلتقيان ،

ثنى الأعنة) وقوله عن الصوت (عجاجتين) إذ المراد بها ما يثور من الماء على جانبى الفرس السابح وهو الثوران يعطى صوتاً قوياً ، وقوله (حبابه) إذ المراد بالحباب : طرائق تظهر على وجه الماء تصنعها الريح فتصدر صوتاً شديداً ، وكقوله عن اللون (غباره ، المدى ، اللجين ، العقبان) هذا بالإضافة إلى مشاعر الشاعر وعواطفه التى انفعلت بها نفسه فى وصفه وتصويره ، فهذا كله يعطى لوحة كلية رائعة ، وقد أشار صاحب كتاب (الصبح المنبى عن حيثية المتنبى) إلى أن هذه الصورة تعد من محاسن الصور لدى المتنبى[1] .

وثمة صورة كلية أخرى فى هذه النونية وردت فى الأبيات من الواحد والعشرين إلى الثامن والعشرين :.

فتل الجبال من الغدائر فوقه وبنى السفين له من الصلبان
وحشاه عادية بغير قوائم عقم البطون حوالك الألوان
تأتى بما سبت الخيول كأنها تحت الحسان مرابض الغزلان
بحر تعود أن يذم لأهله من دهره وطوارق الحدثان
فتركته وإذا أذم من الورى راعاك واستثنى بنى حمدان
المخفرين بكل أبيض صارم ذمم الدروع على ذوى التيجان
متصعلكين على كثافة ملكهم متواضعين على عظيم الشان
يتقيلون ظلال كل مطهم أجل الظليم وربقة السرحان

صور المتنبى فى هذه الأبيات ما مُنى به الروم فى حربهم ضد سيف الدولة ، حيث فتل من شعور من قتل من الروم الحبال الكثيرة ، وبنى مما كسر من الصلبان

(١) الصبح المنبى عن حيثية المتنبى تحقيق مصطفى السقا وآخرين ص٨١ .

سفنا يعبر عليها بالسبى والأموال والنساء والولدان والتى كانت كمرابض للغزلان ، ويصف ما قام به النهر من دور لسيف الدولة ، حيث استثناه وقومه من عبوره .

هؤلاء القوم الذين ينقضون بسيوفهم تلك العهود والذمم التى أعطاها النهر للملوك وذوى التيجان ، هؤلاء القوم الذين يتخلقون بأخلاق الصعاليك من تواضع وعلو قدر وعظم شأن ، ويستظلون فى الهواجر بظلال خيولهم كما يفعله الصعاليك ولا يدخلون الخيام كما يفعل المتنعمون ، وقد ساعد الشاعر فى هذه الصورة الكلية ألوان البيان المختلفة كالتشبيه فى قوله (كأنها مرابض الغزلان) وما يدل من الألفاظ على الصوت واللون والحركة ، فالصوت نسمعه فى قوله (المخفرين) واللون فى (حوالك الألوان) و(أبيض صارم ، الدروع، والتيجان) والحركة نحسها ونشعر بها فى قوله (عادية أى جارية ، ويذم أى يجير ، وأجل الظليم وربقة السرحان) .

وهناك صورة كلية ثالثة فى الأبيات من الرابع والثلاثين إلى الثالث والأربعين :.

ما زلت تضربهم دراكاً فى الذرى ضرباً كأن السيف فيه اثنان
خص الجماجم والوجوه كأنما جاءت إليك جسومهم بأمان
فرموا بما يرمون عنه وأدبروا يطئون كل حنية مرنان
يغشاهم مطر السحاب مفصلاً بمهند ومثقف وسنان
حرموا الذى أملوا وأدرك منهم آماله من عاذ بالحرمان
وإذا الرماح شغلن مهجة ثائر شغلته مهجته عن الإخوان
هيهات عاق عن العواد قواضب كثر القتيل بها وقل العانى
ومهذب أمر المنايا فيهم فأطعنه فى طاعة الرحمن
قد سودت شجر الجبال شعورهم فكأن فيه مسفة الغربان

وجرى على الورق النجيع القانى فكأنه النارنج فى الأغصان

يصور فى هذه الأبيات ما قام به سيف الدولة بعدوه ، حيث كان يضربه ضرباً فى إثر ضرب ، وخص بالضرب رؤوسهم ووجوهم دون أجسامهم لأنه أعطاها أماناً ألا يمسها بضرب ، ومازال يفعل ذلك حتى رمى الأعداء قسيّهم وانهزموا يطؤون قسيهم المطوية عند الرمى، وصور جيش سيف الدولة بأنه سحاب ومطره الرماح والسيوف ، ولم يستطع الروم أن يأخذوا بثأر من قتل منهم لأنهم شغلوا بأنفسهم ووصف ما حل بهم من قتل فأشار إلى أن شعورهم سودت أشجار الجبال وصارت كأنها غربان على الأشجار والدماء تطايرت فخضبت ورق الأغصان ، وهذا التصوير ناشئ عما تضمنته الأبيات من صور بيانية والمفرادت التى يُسمع من خلالها الصوت ويرى منها اللون ويحس منها الحركة ، وهذا إن دل على شئ فإنما يدل على ما كان يتمتع به المتنبى من ثقافة واسعة وخيال خصيب .

رابعاً : الموسيقى

الموسيقى من أهم العناصر التى نتعرف من خلالها على مدى قدرة الشاعر على الملاءمة بين عواطفه وموضوعه ، والشعراء من حيث هذه المواءمة على نوعين : الأول من يخرج موضوعات الشعر المتعددة من وزن واحد ، الثانى من ينوع ويعدد أنغامه الموسيقية ، فيتخير لكل موضع ما يناسبه ويلائمه . من وجهة نظره . من أوزان الشعر المختلفة .

والوزن ظاهرة طبيعية للعبارة ما دامت تؤدى معنى انفعالياً وهو " أخص ميزات الشعر وأبينها فى أسلوبه ، ويقوم على ترديد التفاعيل المؤلفة من الأسباب والأوتاد

والفواصل ، وعن ترديد التفاعيل تنشأ الوحدة الموسيقية للقصيدة كلها " [1] .

فالوزن عبارة عن وحدات صوتيه نغمية خاصة تقوم على الحروف الساكنة والمتحركة ، والتفاعيل التى أُنشئ من خلالها أوزان موسيقى الشعر العربى هى عبارة عن وحدات صوتية متكررة تأتى فى أبيات القصيدة بطريقة خاصة وقافية موحدة ، وهى التى تتولد منها بحور الشعر العربى الستة عشر ، والتى يختار منها الشاعر ما يناسب طبيعة موضوعه .

والشعراء القدامى نظموا قصائدهم على تفاعيل هذه البحور الشعرية " دون أن يعرفوا ماهية هذه البحور أو يحددوا موسيقاها وقوالبها . . ودون أن تكون لهم معرفة بهذه البحور ، أو بمعنى أوسع دون دراية بالوزن والقافية " [2].

والدليل على ذلك ما قاله النابغة الذبيانى :.

أمن آل ميةَ رائحٌ أو مغتدى عجلان ذا زاد وغيرُ مزود

زعم البوارح أن رحلتنا غدا وبذاك حدثنا الغراب الأسود

فأوحى النقاد إلى جارية تغنى بأبياته التى وقع فيها الإقواء ، وجعلت تتعمد إظهار الحركات المختلفة من الكسر والضم ، وتشبعها مداً ، ففطن النابغة لهذا العيب ، وأصلح خطأه ، فجعل عجز البيت الثانى (وبذاك تنعاب الغراب الأسود) وقال : وردت يثرب وفى شعرى بعض العيب ، وصدرت عنها وأنا أشعر الناس [3] .

(١) الأسلوب لأحمد الشايب ط الثامنة ملتزم النشر والطبع مكتبة النهضة المصرية ص ٦٥ .

(٢) النقد التطبيقى والموازنات د / محمد الصادق عفيفى الناشر مؤسسة الخانجى بمصر سنة ١٣٩٨ هـ سنة ١٩٧٨ م ص٢٣٥ .

(٣) الموشح للمرزبانى تحقيق محمد على البجاوى ط نهضة مصر سنة ١٩٥٦ م . ص ، وينظر : ديوان النابغة الذبيانى تحقيق شكرى فيصل ط دار الفكر بيروت سنة ١٩٦٨ م ص٢٩ .

وإيقاعات التفاعيل وتموجات نغمها المتسلسل " يخفق معها القلب ويتركز السمع تركزاً شديداً ، فليس هناك أى اهتزاز غريب عن النغم ، وليس هناك أى نشاز أو تشويش ، إنه نظام دقيق يعبر فى استيفاء بالغ عن انفعال الشاعر " (١) ، وهذا ما جعل الجاحظ يقول : " إن أجود الشعر ما كان متلاحم الأجزاء سهل المخارج بذلك ، وأنه أفرغ إفراغاً واحداً ، وسبك سبكاً واحداً " (٢) .

وأما القافية فهى ظاهرة شعرية تصور المقطع الذى تنتهى به أبيات القصيدة ، ويبقى وزنه مردداً آخر كل بيت ليحفظ لها وحدتها أو نغمتها الأخيرة ، فهى" الضربة الأخيرة التى تثبت عندها كل لحظة موسيقية " (٣) .

وتتوالى تلك اللحظات والضربات وكأن المستمعين " لا يستمعون إلى شعر فحسب بل يستمعون إلى موسيقى تسبح بهم فى آفاق الصحراء أو تطير بهم فى الهواء يميناً وشمالاً وصعوداً وهبوطاً " (٤) .

(١) فى النقد الأدبى د / شوقى ضيف ط الرابعة دار المعارف بمصر ص١٠١ .

(٢) العمدة لابن رشيق تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد ط التجارية بمصر سنة ١٦٣ م جـ١ ص١٧١ .

(٣) فى النقد الأدبى د / شوقى ضيف ص١٠٢ .

(٤) المرجع السابق ص١٠٢

وقد غلبت على الشعر العربى القديم وحدة القافية والتزامها فى جميع الأبيات كما غلبت عليه وحدة الوزن العروضى والتزامه بالقافية لأنها " أداة من أدوات تحديد وحدة القصيدة فى جزئية معينة عرفت بالبيت المكون من شطرين وذلك لأنها تفصل بين كل بيت وما يليه . . "[1] .

وقد ظلت أوزان الخليل وقوافيه شائعة فى العصر الحديث لم يطرأ عليها تغيير كبير إلا ما بدا على ألسنة شعراء التفعيلة وأصحاب الشعر الحر من قصائد قامت على وحدة البيت ، فبدا فى الشعر الحديث لونان من الموسيقى ، الأول قائم على وحدة القصيدة ، بحيث تبدو فيه الأبيات مترابطة يأخذ بعضها بحجز بعض ، وتكون أفكارها مترابطة بحيث لا يشعر القارئ بفجوة فى ثناياها.

واللون الثانى من الموسيقى نادى فيه الشعراء المحدثون إلى التحرر من أسر الوزن الخليلى والقافية وهؤلاء هم أصحاب الشعر الحر الذين أباحوا لأنفسهم تغيير عدد التفاعيل فى البيت الواحد بالزيادة والنقصان والذين لم يلزموا أنفسهم بالمنهج التقليدى للقصيدة العربية القديمة فى موسيقى قائمة على الشطرين المتساويين فى التفاعيل والقافية .

هذا عن الموسيقى الخارجية (الوزن والقافية) أما الموسيقى الداخلية أو ما يسميها البعض بوحدة النغم ، فهى " التى يكون مبعثها عناية الشاعر بانتقاء ألفاظ خاصة تعبر تعبيراً دقيقاً عن انفعالاته وعواطفه ، أو تكرار حروف خاصة تقوم على أساس الحركات والسكنات التى تتكون من التفعيلة الشعرية " [2] ، ومن ثم " يتولد جرس تألفه الأذن وتلذ به النفس ، هو ما يمكن أن ننعته بروح القصيدة أو جو

(١) النقد التطبيقى والموازنات ص٢٤٨ .

(٢) النقد التطبيقى والموازنات ص٢٥١ .

القصيدة الذى يسيطر عليها ، ونحسه يسرى فى كياننا وجهات أنفسنا عندما نقرؤه بتؤدة وإمعان وهو يمثل الحالة النفسية التى عاناها الشاعر، ويضطرد فى تناسب صوتى مع معانيه فيحس القارئ أو السامع هالة الغضب والرضا والعجب أو الهدوء والحزن أو الفرح مثلاً مس وجدانه وتهدهد عواطفه فيستجيب لها دون أن يستطيع لها تعليلا أو تحليلاً " (١) .

وهذه الموسيقى الخافتة التى توحى بها وحدة الايقاع هى " المقياس الدقيق الذى نستطيع من خلاله أن نتفهم روح الشاعر وندرك أصالته ، ونتعرف عناصر فنه ، وأنها أثر لكل العناصر الفنية المجتمعة فى شعر الشاعر من عاطفة وفكرة ولفظ وخيال وصورة ، وفى الوقت نفسه بعيدة عن مجال الصنعة " (٢) .

وأما عن قصيدة المتنبى (النونية) فقد جاء إيقاع الموسيقى فيها متواءماً ومتناغماً مع موضوعها ، الذى وصف فيه الشاعر الحرب بين سيف الدولة والروم وصفاً دقيقاً ينم عن معايشته لهذه الحرب ، ويكشف عن أنه وصف وصف من شاهد وعاين وجرب ، وليس وصف من علم بذلك أو سمع .

ووزن القصيدة هو الكامل (متفاعلن) ست مرات ، وسمى بذلك لتكامل حركاته ، وهى ثلاثون حركة واثنا عشر ساكناً ، ليس فى الشعر شئ له ثلاثون حركة غيره ، " وإذا كانت حركات الكامل مثل حركات الوافر فإن الوافر لم يأت مطلقاً على أصله فانفرد الكامل بذلك " (٣) .

(١) المرجع السابق ص٢٥١ .

(٢) المرجع السابق ص٢٥٢ .

(٣) البناء العروضى للقصيدة العربية د / محمد حماسة عبداللطيف ط أولى سنة ١٤٢٠ هـ سنة ١٩٩٩ م ص٤٢ .

وهذا الوزن العروضى الذى صيغت عليه القصيدة يتناسب مع موضوعها ، فالحديث عن وصف معركة الروم يتطلب وزناً يعين الشاعر على الوصف والعرض ، وصف جنود سيف الدولة وعتادهم وخيولهم وجرأتهم وقوتهم وشجاعة قائدهم ووصف سير المعركة وما حدث فيها من طعن وضرب وما منى به الأعداء من قتل وسبى وأسر، وهذه الأفكار وتلك المعانى لا يستطيع الشاعر أن يخرجها وأن يتمها إلا عن طريق وزن عروضى تكثر فيه الحركات لعرض كثرة الحركات فى ميدان المعركة ، وهذا الوزن هو بحر الكامل الذى لا يلجأ إليه إلا شاعر متمكن من صنعته الشعرية ، فالشاعر حينئذ قد وفق فى اختيار وزن قصيدته .

وقد وفق الشاعر كذلك فى اختيار حرف الروى (النون) المكسورة لنونيته وهذا الحرف صوت أسنانى لثوى أنفى مجهور يتفق مع طبيعة تجربة الشاعر التى تدور أساساً حول وصف الحرب وما يلحق بها من هزيمة وانتصار ، وهو حرف " يشبه الحركة فى قوة الوضوح السمعى ، وله دلالة خاصة فى اللغة العربية فهو كثير الدوران بها ، وهو ليس مجرد صوت لأنه من خلالها يمكن الحدس بمضمون القصيدة " (١) .

وروى القصيدة مسبوق بألف تسمى (الردف) وهو حرف المد أو اللين الذى يسبق حرف الروى دون فاصل ، وكسر الروى هنا للتخلص من التقاء الساكنين ، وتفعيلة القافية التى ينتمى إليها حرف الروى تشعر بموسيقى حربية ثائرة كقوله من القصيدة (تطاعن الأقران ، عوالى المران ، مجالس الفتيان ، الميدان ، الأوطان ، الأرسان ، الفرسان ، الصلبان ، مرنان ، سنان ، مسفة الغربان ، التقى الجمعان ،

(١) موسيقى الشعر العربى بين الثبات والتطور د / صابر عبدالدايم يونس ط الثالثة سنة ١٤١٣ هـ سنة ١٩٩٣ م طبع ونشر مكتبة الخانجى بالقاهرة ص٣٢ .

مواقد النيران) [1] ، فالقافية بما تشمله من حرف الروى كان لها دور كبير فى تحقيق جانب من جوانب الموسيقى الداخلية والتى تتمثل فى موسيقى الحرف ، وموسيقى الكلمة ، وموسيقى النظم أو الأسلوب .

أما موسيقى الحرف فيقصد بها " النغم الصوتى الذى يحدثه الحرف، وعلاقة هذا النغم بالتيار الشعورى والنفسى فى مسار النص الشعرى " [2] ، وللحروف مخارجها الصوتية وصفاتها التى تميزها ، فهناك الحروف ذات الصوت المجهور والحروف ذات الصوت المهموس ، والحروف ذات الصوت الشديد أو الإنفجارى ، والحروف ذات الصوت الرخو ، وهناك الحروف ذات الأصوات الساكنة .

أما الحروف ذات الصوت المجهور فعددها ثلاث عشر حرفاً هى (ب . ج . د . ذ . ر . ز . ض . ظ . ع . غ . ل . م . ن) يضاف إليها كل أصوات اللين بما فيها الواو والياء ، وهذا النوع من الأصوات يهتز معه الوتران الصوتيان حين تنقبض فتحة المزمار ، ويقترب الوتران الصوتيان أحدهما من الأخر ، فتضيق فتحة المزمار ، ولكنها تظل تسمح بمرور النفس خلالها ، فإذا اندفع الهواء خلال الوترين وهما فى هذا الوضع يهتزان اهتزازاً منتظماً ، ويحدثان صوتاً موسيقياً تختلف درجته حسب عدد هذه الهزات أو الذبذبات فى الثانية ، كما تختلف شدته أو علوه حسب سعة هذه الاهتزازات الواحدة [3] .

(١) ينظر الأبيات رقم : ٣ ، ٥ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٣ ، ١٧ ، ٢١ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ٤٦ .

(٢) موسيقى الشعر العربى بين الثبات والتطور ص٢٨ .

(٣)موسيقى الشعر العربى بين الثبات والتطور ص٢٨ ، ص٢٩ .

فحرف النون صوت شديد مجهور حرص الشعراء القدامى على الجهرية به فى قصائدهم لإظهار ما فيه من قوة ، وهو يتفق كما أشرت سابقاً مع طبيعة التجربة الشعرية الى تتحدث عن وصف الحرب ، فهو يعطى موسيقى فخمة تتفق مع المعنى الذى يتحدث عنه الشاعر .

وكما تنشأ موسيقى الحرف من استخدام الشاعر لحرف النون فى الروى ، فإنها تنشأ كذلك من تكرار بعض الحروف فى الشطر الواحد أو البيت مما يكسبه لونا من الموسيقى تستريح إليه الأذن و تقبل عليه بشرط ألا يكون هذا التكرار مبالغاً فيه ، وحينئذ يزداد موسيقى الشطر أو البيت حسناً وجمالاً وجودة مثل قول المتنبى فى البيت السادس :

لـــولا ســـمى ســـيوفه ومضـــاؤه لمـــا ســـللن لكـــن كالأجفـــان

فقد كرر الشاعر حرف السين وهو محمود لأن التكرار يضيف فى كل كلمة شيئاً جديداً ، ومثله قول الشاعر فى البيت التاسع :

تخـذوا المجـالس فـى البيـوت وعنـده أن الســـروج مجـــالس الفتيـــان

كرر الشاعر حروف الميم والجيم والألف واللام والسين فى كلمة (مجالس) ولكن التكرار هنا أتى بشئ جميل كان له أثره فى الإيقاع الموسيقى حيث يشير الشاعر إلى أن ثمة فرقاً بين الكلمتين ، فالأولى تعنى الذين اتخذوا الركون والقعود عن الحرب مجالس لهم ، والثانية تعنى الذين اتخذوا سروج الخيل مجالس لهم ومنهم ممدوحه سيف الدولة .

ومثال ذلك قول الشاعر فى البيت الثامن والعشرين :

يتقيلـــون ظـــلال كـــل مطهـــم أجـــل الظلـــيم وربقـــة الســـرحان

حيث كرر حرفى (الظاء واللام) فى كلمتى (ظلال ، الظليم) ، وهاتان الكلمتان تختلفتان فى المعنى ، فالظلال هو الاستظلال فى الهواجر والتقيل والقائلة وقت الظهيرة ، والظليم هو ذكر النعام فتكرار الحرف فى البيت يعطى وقعاً موسيقياً جميلاً وبخاصة حين يفيد تكرار الحرف فى الكلمة شيئاً جديداً .

ومن نماذجه كذلك قوله فى البيت التاسع والعشرين :.

خضـعت لمنصـلك المناصـل عنـوة وأذل دينـــك ســـائر الأديـــان

فقد كرر الشاعر حرف الميم والنون والصاد واللام فى كلمتى (منصلك المناصل) وتكرار هذه الحروف يعطى وقعاً موسيقياً حربياً شديداً ، إذ ثمة فرق بين قوله هذا وقوله (خضعت لسيفك السيوف) فالحروف فى الكلمتين السابقتين تشير إلى القوة والقهر والغلبة والانقياد.

ويقول الشاعر فى البيت الخامس والأربعين :

تلقـى الحسـام علـى جـراءة حـده مثـل الجبـان بكـف كـل جبـان

فقد كرر الشاعر حروف كلمتى (الجبان ، جبان) ، وهذا التكرار له وقعه الموسيقى الجميل ، لأن الشاعر لم يقصد بإعادة الكلمة بحروفها استقام وزن البيت وإنما ليضيف شيئاً جديداً من وراء ذلك ، فالكلمة الأولى (الجبان) يعنى بها السيف ، الثانية (جبان) الذى لا يستطيع الطعن فى الميدان ، والشاعر يريد من ذلك أن السيف قد اكتسب الجبن فى يد الجبان إذا أمسك به ، فكأن السيف جبان مثله ، وجبن السيف هو قلة مضائه .

ويقول الشاعر فى البيت السابع والأربعين .

أنســـاب فخـــرهم إليـــك وإنمـــا أنســـاب أصـــلهم إلـــى عـــدنان

فقد كرر الشاعر كلمة أنساب ، لكن التكرار فيه جديد ، حيث أضاف الكلمة الأولى إلى الفخر ، الثانية إلى الأصل ، ومثله قول الشاعر فى البيت الثامن والأربعين :.

يـــا مـــن يقتـــل مـــن أراد بسيفـــه أصـــبحت مـــن قـــتلاك بالإحســـان

فالتكرار فى قوله (يقتل) ، وقوله (قتلاك) ، والكلمة الأولى تدل على القتل الحقيقى وهو قتل الأعداء ، أما الثانية فتدل على القتل بالإحسان ومعناه الاستعباد ومثله قول الشاعر فى البيت التاسع والأربعين :.

فـــإذا رايتـــك حـــار دونـــك نـــاظرى وإذا مـــدحتك حـــار فيـــك لســـانى

فقد كرر كلمة (حار) لكن الفاعل فى الفعلين مختلف ، فالفاعل للفعل الأول (ناظرى) والفاعل للفعل الثانى (لسانى) ومعنى العبارة الأولى : تحير فيك ناظرى فلا يمكن أن أنظر إليك ملئ عينى لهيبتك وكثرة مآثرك ، ومعنى الثانية : حار فى وصفك لسانى وعجز عن استيفاء مدحك عبارتى وبيانى ، فالتكرار فيما سبق كان لأمر يقصده الشاعر ومن حسناته أنه يلفت نظر القارئ والسامع إلى ما يحدثه من وقع موسيقى جميل .

وأما موسيقى الكلمة واللفظ فيقصد بها ما تحدثه الكلمة من إيقاع مؤثر فى موقعها فى النص ومن موسيقى داخلية فى القصيدة ، وينشأ ذلك عن طريق تقارب حروف الألفاظ متى تقاربت معانيها ، وعن طريق مجئ الألفاظ على هيئة المعانى ، وعن طريق مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث ، وصلة الحروف

بالأحداث المعبر عنها .

وذكر الدكتور إبراهيم أنيس بعض المقاييس التى تتعلق بموسيقية اللفظ وحسن إيقاعه فى النص الشعرى أو الفنى والتى كشف عنها ابن سنان الخفاجى فى كتابه (سر الفصاحة) ومنها : أن يكون تأليف تلك اللفظة من حروف متباعدة المخارج ، وأن تجد لتأليف اللفظة فى السمع حسناً ومزية على غيرها ، وأن تكون الكلمة غير متوعرة وحشية(١).

وقد استخدم المتنبى فى أبياته ألفاظاً لها وقعها الموسيقى المؤثر منها قوله (طعن ، تطاعن ، الطعن ، إلى الطعان)(٢) ، وحروف هذه الكلمات تقوم على الطاء والعين والنون ، أما الطاء فمن الحروف القوية بل إنها أقوى الحروف على الإطلاق ، لأن جميع صفاتها قوية ، وصفات القوة بصفة عامة هى (الجهر والشدة والاستعلاء والإطباق والإصمات والصفير والقلقلة والانحراف والتكرير والتفشى والاستطالة .) ولهذا بدأ الشاعر اللفظة بها ، وأما العين فصفاتها القوية هى (الجهر والإصمات) وصفة النون القوية هى (الجهر) .

ومن خلال هذه الصفات لتلك الحروف يتضح لنا أن الشاعر استخدم هذه الألفاظ للدلالة على الجهر والشدة وغير ذلك ما يتناسب والموضوع الذى يتحدث عنه وهو وصف المعركة ، فالجهر إعلان وظهور ، والشدة قوة ، والاستعلاء إرتفاع ، والإطباق التصاق وإحكام، والإصمات المنع أو تحكم فى الصوت ، فمثل هذه الصفات هى ما تعين الشاعر على الوصف والتصوير والايقاع الموسيقى الجميل ، فالمعركة يكون فيها جهر أى إعلان وظهور ، وفيها شدة أى قوة وفيها استعلاء

(١) موسيقى الشعر د/ إبراهيم أنيس ط السادسة سنة ١٩٨٨ م الناشر مكتبة الأنجلو المصرية ص٣٠ .
(٢) ينظر الأبيات رقم ٣ ، ١٠ ، ١١ من القصيدة .

وارتفاع ، وفيها إطباق والتصاق وإحكام وإصمات ومنع وتحكم فى الأمور ، وهذا يدل على سعة إطلاع الشاعر وثقافته المتعددة .

ومن الألفاظ الأخرى التى وردت فى نونية الشاعر وكان لها وقع موسيقى مؤثر وصفات تعبر عن موضوع الشاعر قوله (جحفل ، يقمصن ، طوارق ، يصعدن ، دراكاً ، قواضب)[1] ، فهذه الألفاظ تبدأ بحروف قوية تناسب وصف المعركة وتصويرها وتعطى رنيناً موسيقياً حربياً مؤثراً يتفق وطبيعة التجربة الشعرية لدى الشاعر وانفعالاته ، هذا بالإضافة إلى بعض ألوان البديع التى لها حسن جرس ووقع فى الأسماع كالجناس والطباق[2] .

وأما موسيقى النظم أو الأسلوب فى القصيدة فيعد من ألزم الجوانب المؤثرة فيها ، وهذا ما أكد عليه الإمام عبدالقاهر الجرجانى ، حيث يؤكد على قيمة النسق اللغوى وعلى الإطار الموسيقى للبيت وذلك حين يشير إلى الحرص على عدم التغيير فى نظام البيت الشعرى تقديماً أو تأخيراً ، ويصف هذا النسق بأنه تنضيد أى نظام بديع جميل يحرص على تحقيق مواطن الجمال وجمال الأسلوب ونسقه المخصوص ، كما أشار عبدالقاهر إلى أثر الجناس والطباق والسجع فى جمال الأسلوب وحسن الإيقاع [3].

وإذا نظرنا إلى نونية المتنبى نرى جمال الأسلوب وموسيقيته فيها فى مواطن كثيرة ، منها ما قاله فى البيت الثالث والثلاثين :

---

(١) ينظر الأبيات رقم ١٤ ، ١٨ ، ٢٤ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ٤٠ .

(٢) ينظر البيت رقم ٤ ، ١٥ .

(٣) أسرار البلاغة لعبدالقاهر الجرجانى تعليق السيد محمد رشيد رضا . دار المطبوعات العربية للطباعة والنشر والتوزيع ص١٤ ، ص١٥ .

وفـوارس يحيـى الحمـام نفوسـها فكأنهـا ليسـت مـن الحيـوان

فالموسيقى الداخلية فى البيت ناجمة من حسن اختيار الشاعر لألفاظ البيت وحسن تنسيقها ومما اشتملت عليه من معنى جديد ، حيث جعل الحياة ناشئة عن الموت ، إذ الفوارس يعدون الموت حياة فى ساحات الحرب لبقاء الذكر حتى كأنهم ليسوا من الحيوان ، لأن الحيوان إذا مات ينسى .

وتبدو الموسيقى الداخلية كذلك فى قول الشاعر فى بيته الرابع والثلاثين :

مـا زلـت تضـربهم دراكـاً فـى الـذرى ضـربـاً كـأن السـيف فيـه اثنـان

فالموسيقـى الداخليـة تبـدو فـى تعدد ألوان الضرب ، فقد بدأ الضرب بقولـه (تضربهم) ثم زاد الضرب بعد ذلك فكان (دراكاً) أى ضرباً متتابعاً ، ثم زاد بعد ذلك الضرب حتى أصبحت الضربة الواحدة تعدل ضربتين فهذا الانتقال فى الضرب يعطى وقعاً موسيقياً جميلاً ، إذ فى كل كلمة شئ جديد .

وثمة مثال آخر تبدو فيه الموسيقى الداخلية ، وهو قوله فى البيت الثامن والثلاثين :

حرمـوا الـذى أملـوا وأدرك مـنهم آمالـه مـن عـاد بالحرمـان

فالبيت قائم على الحرمان والأمل وإدراكه والعودة بالحرمان ، وتبدو الموسيقى الداخلية فى هاتين العبارتين (حرموا الذى أملوا) و (أدرك منهم آماله ..) ففى الأولى انهزام وحرمان ، وفى الثانية نجاة وأمن و أمان ، فالمقابلة بين العبارتين تعطى رنيناً موسيقياً جميلاً .

ويقول المتنبى فى بيت السادس والأربعين :

رفعت بك العرب العماد وصيرت قمم الملوك مواقد النيران

فألفاظ البيت (رفعت ، العماد ، قمم) تدور حول الرفعة وعلو الشأن ، وهى تعطى وقعاً موسيقياً جميلاً لما بينها من تآلف وتآذر فى المعنى ، فقوله (رفعت) من الرفعة وعلو الشأن ، وقوله (العماد) يعبر به عن الشرف وقوله (قمم) تعنى أعلى الرأس ، وقمة كل شئ أعلاه ، فبين الكلمات تجانس وتآلف، وهذا يعطى وقعاً موسيقياً جميلاً .

خامساً : القصيدة بين التأثير والتأثر

للشاعر فى نونيته مواطن تأثر فيها بالتراث العربى والإسلامى وأخرى أثر فيها فيمن أتى بعده من الشعراء ليتحقق بذلك التواصل بين الشعراء القدامى والمحدثين ، وليتعرف اللاحق من خلال تأثره بالتراث على ما فى هذا التراث من قيم أدبية تستحق أن تحتذى وأنساق ينبغى أن تكون نبراساً للتطور والتجديد من خلال التفاعل والتحاور معها .

ولقد حدد الدكتور محمد مندور بعض الأضرب فى مجال تحديد العلاقة بين النص السابق ولاحقه فى مجال الإبداع قديماً وحديثاً، وهى:

١ ـ الاستيحاء وهو أن يأتى الشاعر أو الكاتب بمعان جديدة تستدعيها مطالعاته فيما كتب .

٢ ـ استعارة الهياكل ، كأن يأخذ الشاعر أو الكاتب موضوع قصيدته أو قصته عن أسطورة شعبية أو خبر تاريخى ، وينفث الحياة فى هذا الهيكل حتى ليكاد يأخذه من العدم .

٣ ـ التأثر وهو أن يأخذ شاعر أو كاتب بمذهب غيره فى الفن أو الأسلوب .

٤ ـ السرقات والمقصود بها انتحال الجمل والأفكار الأصلية بنفسها دون الإشارة إلى مأخذها ، وهذا قليل الحدوث فى العصر الحديث (١).

ويوضح الدكتور سعد أبو الرضا هذه الأضرب بشئ من التفصيل، فيقف على الأمور التى ينبغى مراعاتها فى التأثر بالسابقين ، وهى :

١ ـ أن يتخذ العمل الفنى من النص التراثى إطاراً لأحداث معاصرة بحيث تصبح المادة التراثية رمزاً إلى ما يتغياه المنشئ ووسيلته إلى ذلك التضاد أو الترادف والتوازى .

٢ ـ تطويع الشكل التراثى لمضمون جديد ، والشكل هنا لا علاقة له بالأحداث والأسماء التى حملها التراث ، وإنما هو الصياغة الجمالية نفسها .

٣ ـ أن يستعير العمل الفنى من التراث مضموناً معيناً ، يرى الفنان ضرورة استمراره فى شرايين المجتمع الجديد بغض النظر عن الموضوع الذى جسد هذا المضمون فى العصر والمجتمع القديم وبغض النظر بطبيعة الحال أيضاً عن الشكل الذى صيغ فيه .

٤ ـ أن يقوم العمل الفنى بتقديم المادة التراثية فى ثوب عصرى كالمسرح أو الرواية وتخليصها مما يثقلها لغوياً أو كثرة الهوامش والإحالات الصعبة (٢).

وقد تعددت ألوان تأثر المتنبى بالتراث العربى والإسلامى ، فهناك تأثر بالشعراء

(١) النقد المنهجى عند العرب د / محمد مندور ط مكتبة نهضة مصر ص٣٥٩ .

(٢) معالجة النص فى كتب الموازنات التراثية ـ منهج وتطبيق د / سعد أبو الرضا الناشر منشأة المعارف بالإسكندرية ص١٦ ، ١٧ .

القدامى ، جاهليين وإسلاميين وأمويين وعباسيين ، وهناك تأثر بالأمثال العربية ، وتأثر بالقرآن الكريم والحديث النبوى الشريف ، وتأثير فى بعض الشعراء اللاحقين كالبارودى وغيره .

فمن الشعراء السابقين الذين تأثر بهم المتنبى فى قصيدته امرؤ القيس ، يقول المتنبى :

يتقيلون ظلال كل مطهم أجل الظليم وربقة السرحان

فالمتنبى يتحدث فى هذا البيت عن الفرس المطهم التام كل شئ منه على حدته ، فهو بارع الجمال ، وأنه إذا طرد النعام والذئاب أدركها فقتلها ومنعها من العدو ، وهو من قول امرئ القيس[1]:

وقد اغتدى والطير فى وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكل

يقول امرؤ القيس : وقد أغتدى والطير بعد مستقرة على مواقعها التى باتت عليها على فرس ماض فى السير قليل الشعر يقيد الوحوش بسرعة لحاق إياها كما أنه عظيم الألواح والجرم ، فالشاعر هنا يتمدح بالفروسية بعد أن تمدح بمعاناة دجى الليل وأهواله ثم تمدح بتحمل حقوق العفاة والأضياف والزوار ثم تمدح بطى الفيافى والأودية ، فيقول ربما بكرت الصيد قبل نهوض الطير من أوكارها على فرس هذه صفته .

لكن المتنبى زاد على امرئ القيس بقوله (أجل الظليم) فاستحق المعنى بالزيادة ، وقد قال لعلماء بهذا الشأن إن الألفاظ إذا أخذت بنصها ليس سرقة ،

(١) امرؤ القيس حياته وشعره إصدار دار كرم للطباعة والنشر ص١٠١ وشرح المعلقات السبع للزوزنى مكتبة النقاء . ش المتنبى . العراق . بغدا د ص٤٣ ، ينظر شرح ديوان المتنبى للعكبرى جـ٤ ص١٨٠ .

وإنما السرقة أخذ المعانى ، وإذا أخذ الشاعر المعنى وأتى بألفاظ مثل الألفاظ الأولى فهى سرقة مكروهة ، وإذا أخذ الشاعر المعنى وألفاظه أحسن من الألفاظ الأولى فهى سرقة وليس له إلا فضل جودة اللفظ ، وقول المتنبى (ربقة السرحان) هى قول امرئ القيس (قيد الأوابد) ، وأكثر الرواة على أن امرأ القيس هو أول من قال : (قيد الأوابد) ثم اقتدى به الشعراء من بعده ، لكن البعض ينفى ذلك فيقول " إن هذا البيت لا يدل على أن صاحبه أول من اغتدى والطير فى وكناتها كما قال بديع الزمان " [1] .

ويقول المتنبى فى بيته التاسع :

تخذوا المجالس فى البيوت وعنده أن السروج مجالس الفتيان

يشير إلى أن الناس قد اتخذوا البيوت مجالس لهم ، أما هو فقد جعل مجالسه سروج الخيل ومثله قول عنترة [2] :

تمسى وتصبح فوق ظهر حشية وأبيت فوق سراة أدهم ملجم

يقول عنترة إن عبلة تصبح وتمسى فوق فراش وطئ وأبيت أنا فوق فرس أدهم ملجم ، فهى تتنعم وأنا اقاسى شدائد الأسفار والحروب.

فالمتنبى تأثر فى بيته السابق ببيت عنترة الذى وازن فيه بين إمساء عبلة وبياتها فوق ظهر حشية ، وبينه حين يبيت فوق فرسه المعد للقتال والنزال ، فأخذ المتنبى تلك الموازنة وأقامها فى بيته معرضاً بمن يتخذ البيوت مجالس لهم وقت الحروب والشدائد ، ومبيناً منزلته وشأنه فى استعداده وتأهبه لساحات الوغى

(١) الموازنة بين الشعراء لزكى مبارك ط الثالثة سنة ١٣٩٣ هـ سنة ١٩٧٣م مكتبة ومطبعة عيسى البابى الحلبى ص٦٤ .

(٢) شرح المعلقات السبع للزوزنى ص١١٤ .

والقتال ، ومن هنا تبدو براعة المتنبى فى استرفاد التراث فى نونيته .

وممن تأثر بهم المتنبى فى نونيته الطائى وزهير ، فيقول فى بيته الثالث والثلاثين :

وفوارس يحيى الحمام نفوسها فكأنها ليست من الحيوان

فهو متأثر فيه بقول الطائى[1] :

يستعذبون منايا هم كأنهم لا ييأسون من الدنيا إذا قتلوا

وقول زهير بن أبى سلمى من قصيدة يمدح بها حصن بن حذيفة ابن بدر ، وقد جعل الشطر الثانى كله عنوان القصيدة [2]:

تراه إذا ما جئته متهللا كأنك تعطيه الذى أنت سائله

يقول العكبرى : وهو من الأخذ الخفى لأن زهيرا جعل الممدوح يسر بما يعطى سائله حتى كأنه يأخذه ، وجعل المتنبى هؤلاء الفرسان يسرعون إلى القتل فى الحرب حتى كأنه حياة ، وأنا أرى أن المتنبى فاق زهيراً فى التعبير عن هذا المعنى .

ويتساوى مع الطائى فى حسن التعبير وجمال التصوير .

وحديث المتنبى عن المرابض والأرباض فى بيته الثالث والعشرين:

تأتى بما سبت الخيول كأنها تحت الحسان مرابض الغزلان

يصف فيه السفن التى تحمل الجوارى التى سبتها الفوارس فشبههن بالغزلان

(١) شرح ديوان المتنبى للعكبرى جـ٤ ص١٨١ .

(٢) ديوان زهير بن أبى سلمى ط دار صادر بيروت ص٦٨ .

والسفن لها مرابض متأثر فيه بقول العجاج [1]:

رعتـــه وقـــد قابلـــه حوشـــى واعتـــاد أرباضـــاً لهـــا آرى

وهو من قصيدة يقول فى مطلعها :

يكبـــت والمختـــزن البكـــى وإنـــا يـــأتى الصـــبا الصـــبى

وأرى أن المتنبى هنا تأثر فيه باللفظ دون المعنى ، فقد اقتصر فى ذلك على ألفاظ السابقين منها قوله (مرابض وأرباض) ليدلل على قدرته على استخدام الصياغة الشعرية الممثلة فى ألفاظ السابقين ويشير من جهة أخرى إلى ثقافته الواسعة واطلاعه على الشعر العربى القديم فى عصوره الأدبية الزاهية ، وتمكنه من مجاراة الشعراء القدامى فى ألفاظهم ومعانيهم .

ولم يقتصر تأثره بالسابقين فحسب ، إنما تأثر بالشعراء المعاصرين له كالبحترى فقوله فى بيته الرابع عشر :

فـى جحفـل سـتر العيـون غبـاره فكأنمـا يبصـرن بـالآذان

متأثر فيه بقول البحترى [2] :

ومقدم الأذنين فحسب أنه بهما يرى الشخص الذى لأمامه

وقوله فى بيته الرابع والأربعين :

إن السـيوف مـع الـذين قلـوبهم كقلـوبهن إذا التقـى الجمعـان

(١) ديوان العجاج . شرح ورواية عبدالملك بن قريب الأصمعى ، قدم له وحققه الدكتور سعدى ضناوى ط دار صادر بيروت ط أولى . ص٢٥٦

(٢) ديوان البحترى . تحقيق حسن كامل الصيرفى ط الثانية . دار المعارف بمصر جـ٣ ص١٩٩٠ .

متأثراً فيه بقول البحترى[1] :

وما السيف إلا بز غاد لزينة إذا لم يكن أمضى من السيف حامله

وكما تأثر المتنبى بغيره من الشعراء السابقين والمعاصرين له فقد أثر فيمن أتى بعده وبخاصة شعراء العصر الحديث ومنهم البارودى .

فقول البارودى فى قصيدة له [2] :

ملئوا الفضاء فما يبين لناظر غير التماع البيض والخرصان

متأثر فيه بقول المتنبى حين وصف الغبار وكثافته مما يحجب الرؤية أمام الخيل فكأنها وهى تسير تبصر بآذانها لا بعيونها[3] :

فى جحفل ستر العيون غباره فكأنما يبصرن بالآذان

وحين يصف البارودى خيله فيقول[4] :

والخيل واقفة على أرسانها لطراد يوم كريهة ورهان

فقد تأثر فيه بالمتنبى فى قوله الذى يشيد فيه بخيله المتمرسة المؤدبة بآداب الوغى ، والتى اتخذت الحرب والنزال عادة عندها حتى إذا دعيت بالصوت جاءت دون حاجة إلى جذبها بالرسن [5] :

(١) ديوان البحترى جـ٣ ص١٦١٢ .

(٢) ديوان البارودى . حققه وصححه وضبطه وشرحه محمد شفيق معروف ط دار المعارف بمصر سنة ١٣٩٤هـ سنة ١٩٧٤ م جـ٤ ص٤٥ .

(٣) العرف الطيب فى شرح ديوان أبى الطيب ص٤٣٩ : ص٤٤٤ .

(٤) ديوان البارودى جـ٤ ص٤٦ .

(٥) العرف الطيب فى شرح ديوان أبى الطيب ص٤٣٩ : ص٤٤٤ .

إن خليـــت ربطـــت بـــآداب الـــوغى فـــدعاؤها يغنـــى عـــن الأرســـان

هذا بالإضافة إلى تأثره بالمتنبى فى بعض ألفاظ نونيتـه،فكلمة (الأجفان) فـى البيت السادس و(الفرسان) فى السابع عشر للمتنبى نراها لدى البارودى فى قولـه فى نونية له [1]:

أخـــذ الكـــرى بمعاقـــد الأجفـــان وهفـــا الســـرى بأعنـــة الفرســـان

وكلمة (الأرسان) لدى المتنبى في بيته الثالث عشر نراها لدى البارودى فى قوله[2] :

والخيـــل واقفـــة علـــى أرســـانها لطـــراد يـــوم كريهـــة ورهـــان

وقوله [3]:

فتوجســت فــرط الركــاب ولــم تكــن لتهــاب فامتنعــت علــى الأرســان

وكلمـة (أبيض صارم) لـدى المتنبـى فـى بيتـه السادس والعشرين نراها لـدى البارودى فى قوله [4]:

ملئــوا الفضــاء فمــا يبــين لنــاظر غيــر التمــاع البــيض والخرصــان

وكلمة (مرنان) لدى المتنبى فى بيتـه السادس والثلاثين نراها لدى البـارودى فى قوله [5]:

(١) ديوان البارودى جـ٤ ص٤٣ .
(٢) ديوان البارودى جـ٤ ص٤٦ .
(٣) ديوان البارودى جـ٤ ص٤٧ .
(٤) ديوان البارودى جـ٤ ص٤٥ .
(٥) ديوان البارودى جـ٤ ص٤٩ .

فسقى السماك محلة ومقامة فى مصر كل رويـة مرنان

وكلمة (قانى) لدى المتنبى فى بيته الثالث والأربعين نراها لدى البارودى فى قوله [١]:

فإذا الجبال أسنة وإذا الوهاد أعنة والماء أحمر قانى

فهذه الألفاظ وغيرها قد استعان بها البارودى فى قصيدته متأثراً فيها بالمتنبى رغبة منه فى السير على نهجه فى استخدام الألفاظ القوية والمعانى السامية ، لكنه . وإن كان قد اتجه بشعره نحو الأقدمين . إلا أنه لم يفن فيهم ولم يقصر همه على النقل عنهم ومنهم ، بل بدت شخصيته بارزة فى شعره ، وبدا شعره مرآة بيئته وزمانه .

ولم يقتصر تأثر المتنبى فى قصيدته النونية بالشعر العربى القديم والمعاصر له وتأثيره فيمن أتى بعده وإنما نرى له فيها تأثراً بالقرآن الكريم والحديث النبوى الشريف وبعض الأمثال العربية ، فمن شواهد تأثره بالقرآن الكريم قوله فى البيت الثالث الثلاثين :

وفوارس يحيى الحمام نفوسها فكأنها ليست من الحيوان

فالشاعر فى هذا البيت يصور هؤلاء الفرسان بأنهم يحبون الشهادة ويعتقدون بحياتهم بعد الموت لذلك فالموت يحيى نفوسهم لأنهم شهداء وهو متأثر فيه بقول الحق تبارك وتعالى " ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون " [٢].

(١) ديوان البارودى جـ٤ ص٤٧ .

(٢) سورة آل عمران آية ١٦٩ .

ومن شواهده فى ذلك أيضاً قوله فى البيت التاسع والثلاثين :

وإذا الرمـــاح شـــغلن مهجـــة ثـــائر شـــغلته مهجتـــه عـــن الإخـــوان

فهو متأثر فيه بقوله تعالى " وما ينطق عن الهوى " (١) أى بالهوى، وذلك إذا كانت (عن) فى قوله (عن الأخوان) بمعنى الباء ، فيكون معنى البيت : شغلت سيف الدولة مهجته بإخوانه وليس عن إخوانه ، ومتأثر فى هذا البيت أيضاً بقوله تعالى " لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه " (٢) .

ومن شواهد تأثر المتنبى بالحديث الشريف قوله فى البيت السابع والأربعين :

أنســـاب فخـــرهم إليـــك وإنمـــا أنســـاب أصـــلهم إلـــى عـــدنان

فالشاعر يريد أن العرب منتسبون إلى سيف الدولة من حيث الشرف والرفعة والمجد ، ومنتسبون إلى عدنان من حيث الأصل والآباء والأجداد ، وعدنان أبو العرب كلها ، وقد جاء فى الحديث أن الرسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينتهى إلى عدنان ، ويقول " كذب النسابون ما فوق عدنان " (٣) .

ومن شواهد تأثره بالأمثال قوله فى البيت الثامن والثلاثين :

حرمـــوا الـــذى أملـــوا وأدرك مـــنهم آمالـــه مـــن عـــاد بالحرمـــان

يصف الشاعر الروم بأنهم حرموا ما أملوا من الظفر بسيف الدولة، وأدرك آماله منه من سلم لأنه حينئذ أمل النجاة ، فرجع بما أمله منها وإن كان قد حرما ما كان قديماً أملـه ، فقد أدرك أملـه بنجاتـه سالماً ورضى بحرمان الغنيمـة ، فكأنـه أدرك

(١) سورة النجم آية ٣

(٢) سور عبس آية ٣٧

(٣) شرح المتنبى للعكبرى جـ٤ ص١٨٥

آماله لنجاته بنفسه،وهذا مثل قولهم فى الأمثال (من نجا برأسه فقد ربح)[1] وهو يضرب فى إبطاء الحاجة وتعذرها حتى يرضى صاحبها بالسلامة منها ، قال أبو عبيد :

وهذا الشعر أراه قيل فى ليالى صفين :

الليل داج والكباس تنتصح

نطاح أسد ما أراها تصطلح

فمن نجا برأسه فقد ربح

ومن خلال هذا الجانب ـ جانب التأثير والتأثر ـ تبدو لنا أن المتنبى صاحب موهبة شعرية لها من الأصالة والطبع ما جعلها تستفيد من الروافد التى هيئت لها وأنه صاحب رصيد كبير من الثقافة المتنوعة فى كتب اللغة والأدب وفى دواوين الفحول من الشعراء السابقين ، والقراءات الأخرى فى ألوان المعرفة المختلفة التى كانت سائدة فى عصره والتى حاول أن يفيد منها فى نونيته ، فكان تأثره بها واضحاً ، وتأثيره فيمن أتى بعده من الشعراء ظاهراً جلياً .

(١) مجمع الأمثال للميدانى تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط بمطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه جـ٣ ص٣٠٩ رقم المثل ٤٠٠٩ .

الخاتمة

وبعد هذه الدراسة الموضوعية والفنية للقصيدة النونية للمتنبى نذكر أهم استنتاجات البحث وتتمثل في ما يلى :

١ ـ كانت حياة الشاعر ـ بأطوارها المتعددة ـ حدثاً من أحداث التاريخ الذى تفتحت الأعين عليه واشتغلت به القلوب والأفهام ، وكان شعره حديقة غناء التقط من ثمرها طلاب العلم الفصاحة فى الألفاظ والبلاغة فى الأسلوب والتجديد فى التصوير والجرس فى الموسيقى والقدرة على التعبير فكان لهم من ورائه رصيد علمى نافع وتراث أدبى رائع .

٢ ـ إن قصيدة الشاعر وإن كانت فى ظاهرها تقتصر على مدح سيف الدولة إلا أنها اشتملت على بعض الأفكار والموضوعات التى تدور حول وصف الحرب والتى برع المتنبى فى وصفها والحديث عنها ووصف تحركاتها وعرضها فى صور تنسال بالبلاغة وتنساب بالفصاحة .

٣. أحسن الشاعر فى مطلع قصيدته حيث أقام موازنة بين الشجاعة والعقل أعلى فيها من قدر العقل وشأنه ومثل هذه المطالع لا يقلل منها ما أورده القاضى الجرجانى فى وساطته من بعض المطالع المعيبة للشاعر والتى دافع عنها أحد النقاد فقال إنها كانت من قبيل إثارة الوعى وإيقاظ الانتباه لدى السامع والقارئ .

٤. استخدم الشاعر فى أبيات قصيدته بعض الألفاظ التى تشتمل على صفات القوة والجهر والشدة مما يتناسب ووصف المعارك والحروب .

٥. نوع الشاعر فى صياغة قصيدته فاستخدم ألفاظاً تدل على آلات الحرب وعلى الطعن والضرب وعلى القوة والقهر وعلى الشجاعة وعلى البشر والسرور وعلى

الحزن والألم وعلى الكبرياء والرفعة وعلى الطبيعة ، واستخدم بعض مفردات الغزل فى وصف المعارك والحروب وهذا يشير إلى كثرة محصوله اللغوى واللفظى وقدرته على تجانس تلك الألوان من المفردات فى قصيدته .

٦ ـ كانت أساليب الشاعر قوية وعباراته رصينة وكان بينها وبين المعانى اتساق واتفاق وتآلف وانسجام .

٧ ـ استخدم الشاعر فى قصيدته من الصور البيانية التشبيه والاستعارة والكناية ، وقد جاء التشبيه فى المرتبة الأولى لدى الشاعر وجعله الركن الأساس فى قصيدته فاستعان به فى وصف الخيل والمعركة والماء والدماء والسفن والجنود والسيوف والرماح ولحظات النصر والهزيمة وقد أبدع الشاعر فى هذه التشبيهات وعرضها فى معرض حسن ، وجاءت الاستعارة والكناية على قلة فى القصيدة ، فقد استعان بكل منهما فى ستة أبيات اعتقاداً منه أن التشبيه هو الأنسب فى وصف هذه الحرب وتلك المعركة .

٨ـ لم يقتصر الشاعر على صوره الجزئية فى القصيدة وإنما استعان بالصور الكلية وما تقوم عليه من صوت ولون وحركة وتآلف بين جزئيات وعناصر القصيدة فذكر فيها ثلاث صور كلية رائعة تدل على ما كان يتمتع به من ثقافة واسعة وخيال خصيب .

٩ ـ وفق الشاعر فى اختيار الوزن الشعرى المناسب لقصيدته حيث صاغها على وزن بحر الكامل الذى تعين تفاعيله على بث المشاعر والأحاسيس وعرضها كاملة غير منقوصة ، كما وفق الشاعر فى اختيار حرف الروى (النون) الذى يتفق وطبيعة التجربة الشعرية لديه .

١٠ ـ كان للقافية بما تشمله من حرف الروى دور كبير فى تحقيق الموسيقى

الداخلية فى القصيدة ممثلة فى موسيقى الحرف والكلمة والنظم أو الأسلوب ، وقد نشأت هذه الموسيقى الداخلية فى القصيدة كذلك من حسن اختيار الألفاظ وجودة تنسيقها وإتقان الشاعر فى صياغة الأساليب التى يكون بين كلماتها تجانس وتآلف وتآزر .

١١. كرر الشاعر بعض الحروف فى بعض الكلمات داخل البيت الواحد فأضاف بذلك بعداً جديداً كان له آثره فى الإيقاع الموسيقى الحربى الجميل .

١٢ . كان هناك تأثر وتأثير فى قصيدة الشاعر ، فقد بدا تأثره بالسابقين كامرئ القيس وعنترة وزهير والعجاج وبمن فى عصره كالبحترى فى جوانب متعددة تمثلت فى الألفاظ والأساليب والمعانى والصور ، كما أثر فى غيره فى العصور اللاحقة وبخاصة شعراء العصر الحديث ومنهم البارودى .

١٣ . لم يقتصر تأثر الشاعر بالشعر القديم أو تأثيره فيمن بعده وإنما تأثر بالقرآن الكريم والحديث الشريف وبعض الأمثال العربية مما يشير إلى تنوع ثقافته واتساع معارفه ومداركه .

والحمد لله أولاً وآخراً

الدكتور / عاطف عبداللطيف السيد أحمد

الأستاذ المساعد فى كلية اللغة العربية بالزقازيق

المصادر والمراجع

١ ـ أبيات المعانى فى شعر المتنبى . دراسة أدبية نقدية مقارنة د / عبده عبدالعزيز قلقيلة ط سنة ١٤١٣ هـ سنة ١٩٩٣ م الطبع والنشر دار الفكر العربى .

٢. الأدب العربى المعاصر فى مصر د/ شوقى ضيف ط السابعة دار المعارف .

٣ ـ أسرار البلاغة لعبدالقاهر الجرجانى تعليق السيد محمد رشيد رضا . دار المطبوعات العربية للطباعة والنشر والتوزيع .

٤ ـ الأسلوب لأحمد الشايب ط الثامنة ملتزم النشر والطبع مكتبة النهضة المصرية .

٥ ـ الأعلام لخير الدين الزركلى ط الثالثة .

٦ ـ امرؤ القيس حياته وشعره إصدار دار كرم للطباعة والنشر .

٧ ـ البناء العروضى للقصيدة العربية د / محمد حماسة عبداللطيف ط أولى سنة ١٤٢٠ هـ سنة ١٩٩٩ م .

٨ ـ البناء الفنى للصورة الأدبية فى الشعر د / على على صبح ط سنة ١٤١٦هـ سنة١٩٩٦م الناشر المكتبة الأزهرية للتراث .

٩ ـ تاريخ الأدب العربى فى العصر العباسى الثانى د / إبراهيم على أبو الخشب . ملتزم الطبع والنشر دار الفكر العربى .

١٠ ـ تشبيهات المتنبى ومجازاته د / منير سلطان الناشر دار المعارف بالإسكندرية . مركز الدلتا للطباعة .

١١ ـ التصوير البيانى فى شعر المتنبى د / الوصيف هلال الوصيف إبراهيم ط أولى

سنة ١٤٢٦ هـ سنة ٢٠٠٦ م مكتبة وهبة . عابدين . القاهرة .

١٢ . الجندية وأثرها فى شعر البارودى د/ حسن عبدالسلام رقم الإيداع ٥٧١٢ / ٩٧ .

١٣ . الخيال الشعرى عند أبى الطيب المتنبى د/طه مصطفى أبو كريشة ط أولى سنة ١٣٩٨ هـ سنة ١٩٧٨ م .

١٤ . ديوان البارودى . حققه وصححه وضبطه وشرحه محمد شفيق معروف ط دار المعارف بمصر سنة ١٣٩٤هـ سنة ١٩٧٤م .

١٥ . ديوان البحترى . تحقيق حسن كامل الصيرفى ط الثانية . دار المعارف بمصر .

١٦ . ديوان زهير بن أبى سلمى ط دار صادر بيروت .

١٧ . ديوان العجاج . شرح ورواية عبدالملك بن قريب الأصمعى ، قدم له وحققه الدكتور سعدى ضناوى ط دار صادر بيروت ط أولى .

١٨ ديوان النابغة الذبيانى تحقيق شكرى فيصل ط دار الفكر بيروت سنة ١٩٦٨ م .

١٩. ديوان أبى الطيب المتنبى بشرح أبى البقاء العكبرى المسمى بالتبيان فى شرح الديوان ، ضبطه وصححه ووضع فهارسه مصطفى السقا وإبراهيم الإبيارى وعبدالحفيظ شلبى . ط سنة ١٣٩١ هـ سنة١٩٧١ م ملتزم الطبع والنشر شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر .

٢٠ـ شرح ديوان أبى الطيب المتنبى لأبى العلاء المعرى تحقيق ودراسة د/ عبدالمجيد دياب ط الثانية سنة ١٤١٣هـ سنة ١٩٩٢م دار المعارف .

٢١ـ شرح ديوان أبى الطيب المتنبى شرحه وكتب حواشيه مصطفى سبيتى . دار الكتب العلمية . بيروت لبنان .

٢٢ . وشرح المعلقات السبع للزوزنى مكتبة النقاء . ش المتنبى . العراق . بغداد .

٢٣ الصبح المنبى عن حيثية المتنبى . تحقيق مصطفى السقا وآخرين ط الثالثة دار المعارف . دار المعارف . سلسلة ذخائر العرب .

٢٤. الصورة الأدبية د/ مصطفى ناصف . دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ط الثالثة سنة ١٩٨٣ م بيروت لبنان .

٢٥ . ظاهر التكسب وأثرها فى الشعر العربى ونقده د / درويش الجندى ط مطبعة الرسالة سنة ١٩٦٩ م الناشر دار نهضة مصر للطبع والنشر بالفجالة . القاهرة .

٢٦ . العرف الطيب فى شرح ديوان أبى الطيب للعلامة الشيخ ناصيف اليازجى دار القلم بيروت لبنان .

٢٧. العمدة لابن رشيق تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد ط التجارية بمصر سنة ١٦٣ م .

٢٨ . فصول فى الشعر ونقده د / شوقى ضيف ط الثانية دار المعارف .

٢٩ . فى النقد الأدبى د/ شوقى ضيف ط الرابعة دار المعارف بمصر .

٣٠ . قضايا حول الشعر د/ عبده بدوى ط مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٢ م .

٣١ . لغة المتنبى . دراسة تحليلية د / إبراهيم عوض ط مطبعة الشباب الحر

ومكتبتها بالقاهرة سنة ١٩٨٧ م .

٣٢ . (المتنبى) للدكتور زكى المحاسنى ط الخامسة دار المعارف .

٣٣ . المتنبى . رسالة فى الطريق إلى ثقافتنا لمحمود شاكر الناشر مطبعة المدنى بالقاهرة ودار المدنى بجدة سنة ١٤٠٧ هـ سنة ١٩٨٧م .

٣٤ . الموشح للمرزبانى تحقيق محمد على البجاوى ط نهضة مصر سنة ١٩٥٦ م .

٣٥ . مجلة الفيصل العدد ٦٤ شوال سنة ١٤٠٢ هـ السنة السادسة . أغسطس سنة ١٩٨٢ م .

٣٦ . مجلة الفيصل . العدد ٧١ جمادى الأولى سنة ١٤٠٣ هـ السنة السادسة سنة ١٩٨٣م ١٤ .

٣٧ . مجلة اللغة العربية بالزقازيق . العدد العشرون سنة ١٤٢١ هـ سنة ٢٠٠٠م .

٣٨ . مجمع الأمثال للميدانى تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه .

٣٩ ـ معالجة النص فى كتب الموازنات التراثية . نهج وتطبيق د/ سعد أبو الرضا . الناشر منشأة المعارف بالإسكندرية .

٤٠ . معالم العروبة فى شعر المتنبى . رؤية موضوعية ودراسة فنية د/ عبدالباسط سعيد عطايا .ط مطابع الولاء الحديثة بشبين الكوم.

٤١ . الموازنة بين الشعراء لزكى مبارك ط الثالثة سنة ١٣٩٣هـ سنة ١٩٧٣م

مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده مصر .

٤٢ . موسيقى الشعر د/ إبراهيم أنيس ط السادسة سنة ١٩٨٨ م الناشر مكتبة الأنجلو المصرية .

٤٣ . موسيقى الشعر العربى بين الثبات والتطور د / صابر عبدالدايم يونس ط الثالثة سنة ١٤١٣ هـ سنة ١٩٩٣ م طبع ونشر مكتبة الخانجى بالقاهرة .

٤٤ . النقد التطبيقى والموازنات د / محمد الصادق عفيفى الناشر مؤسسة الخانجى بمصر سنة ١٣٩٨ هـ سنة ١٩٧٨ م .

٤٥ . النقد المنهجى عند العرب د / محمد مندور ط مكتبة نهضة مصر .

٤٦ . (وفيات الأعيان) لشمس الدين بن خلكان ط عيسى البابى الحلبى سنة ١٩٦٦ م .